

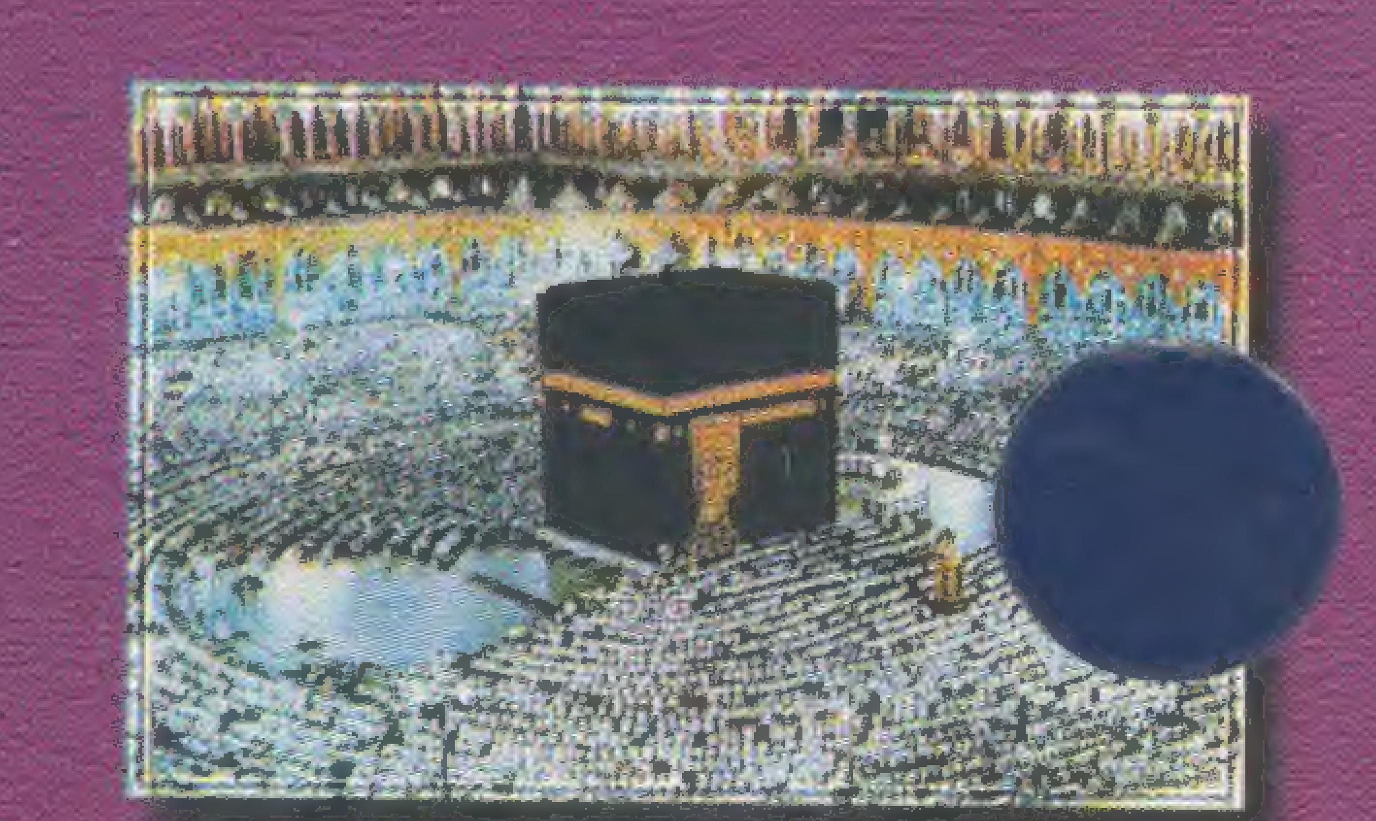
السنة الثانية والثلاثون - العدد السابع - رجب ١٤٢٤ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

خطبة الجمعة للشيخ السديس بمسجد بلبيس

الحجامة في الإسلام

زيارة الشيخ السديس لأنصار السنة ومجلة التوحيد

- طاعة الرسول فيها النجاة
- زيارة وفد أنصار السنة لوزير الأوقاف
- الهدايا: مايباح منها وما يحرم



بسم الله الرحمن الرحيم

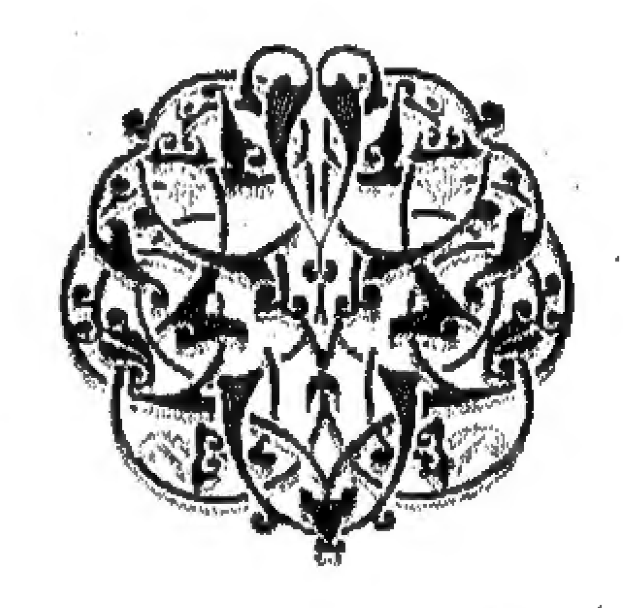




صورة الغلاف

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

السلام عليكم



النهي عن الدعاء على النفس والولد

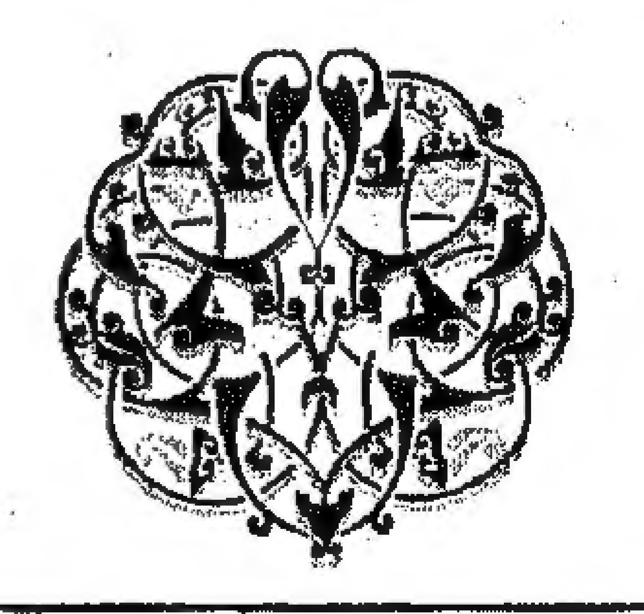
عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة نيل. فيها عطاء فيستجاب لكم» ومعناه: ساعة إجابة ينال الطالب فيها مقصوده ويعطى مطلوبه.

وروى مسلم هذا الحديث في صحيحه وقال فيه: «ولا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقوا من الله تعالى ساعةً يسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم».

وجاء رجل إلى ابن المبارك يشكو فساد ولده، فقال له ابن المبارك: هل دعوت عليه؟ قال: نعم، قال: أنت أفسدته فليُعلم أثر الدعاء للإبن أو على الإبن، ولتكن الغنيمة دعوة للأولاد بالهداية والسداد.

اللهم تقبل منا الدعوات الصالحات إنك نعم المولى ونعم النصير

رئيس التحرير



التنفيذ والطباعة
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة ت: ٣٩٣٦٥١٧
المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

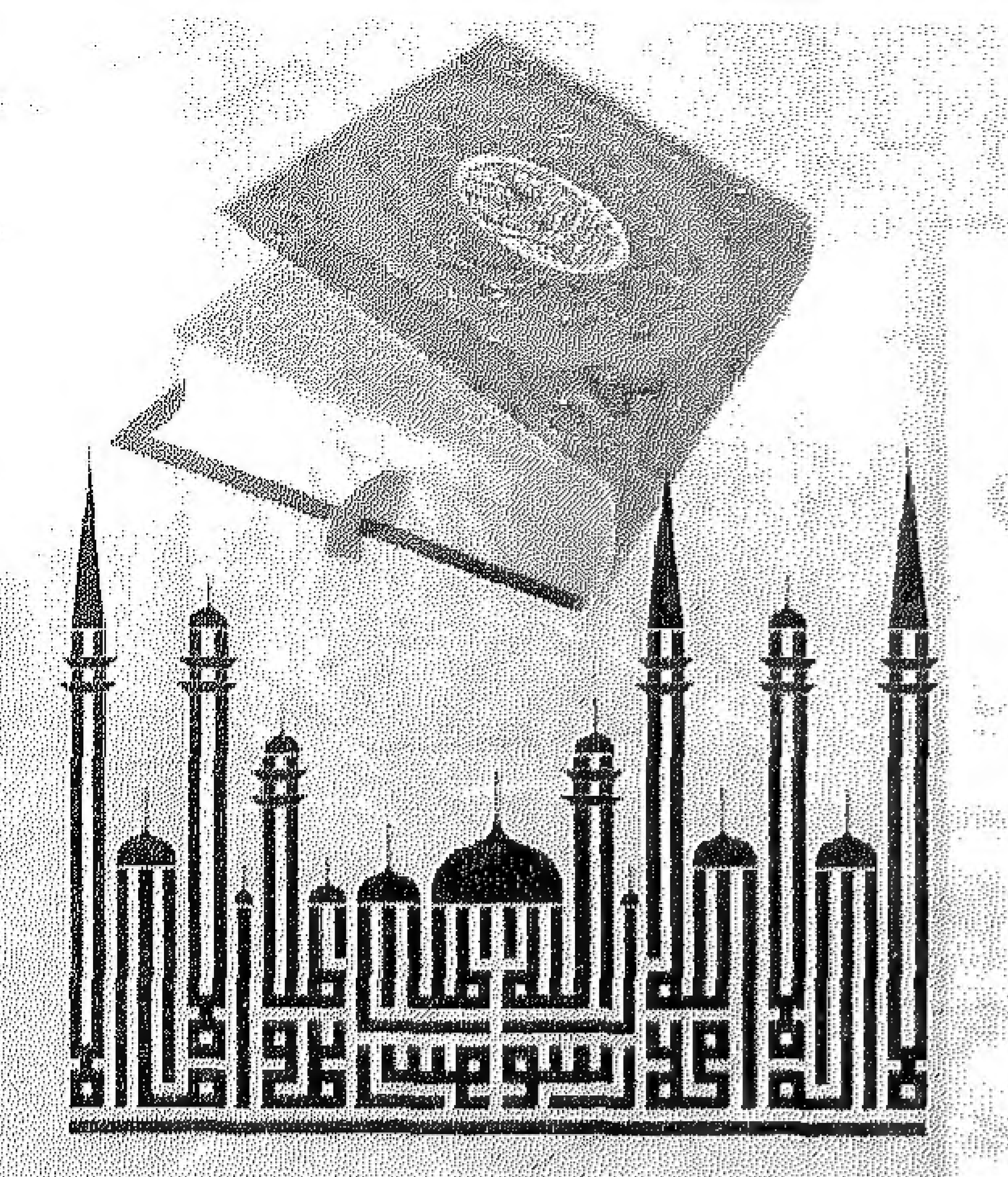
رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية



في هذا العدد

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com

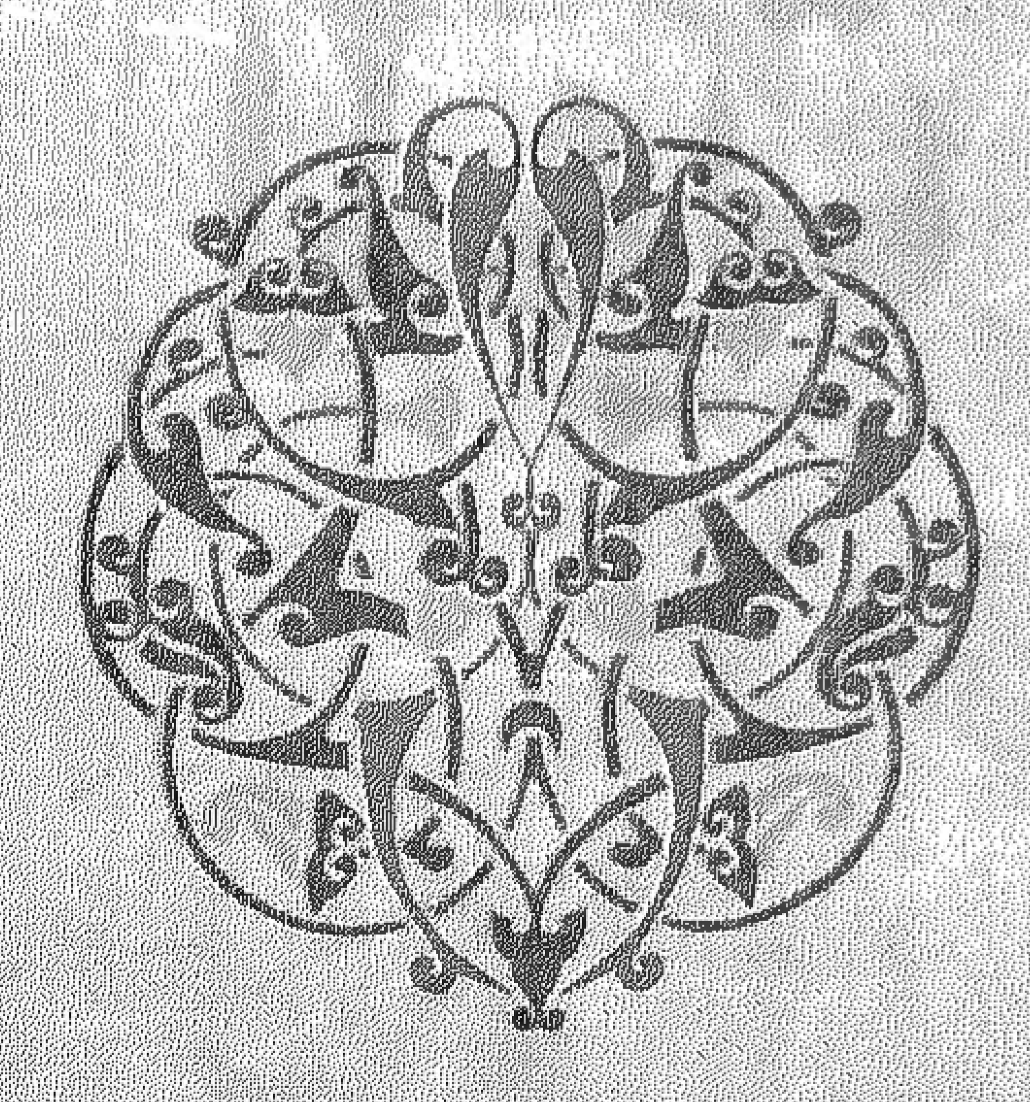
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات see@islamway.net

موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com

ثمن النسخة :

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلسا، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.



الاشتراك السنوي:

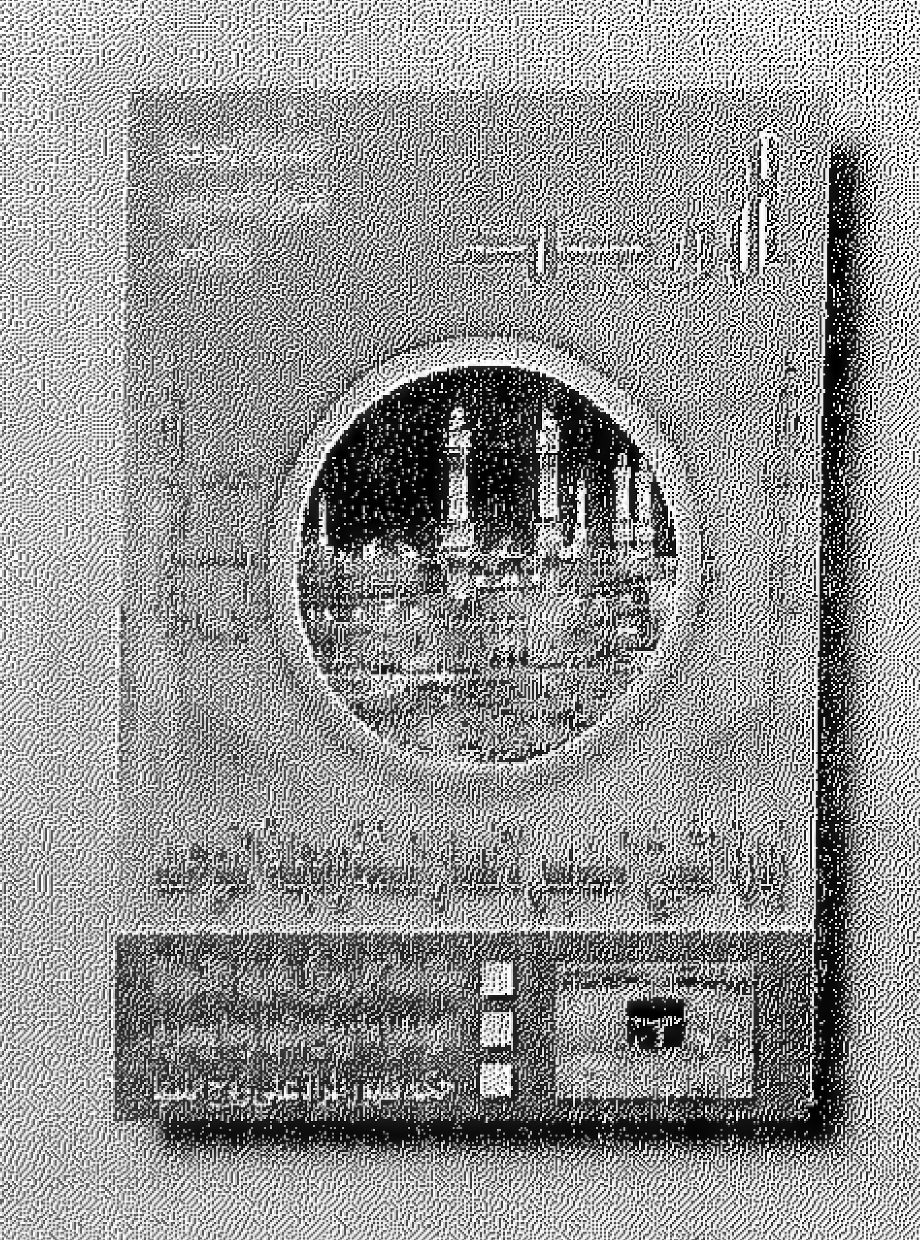
١ - في الداخل ١٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ - في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.

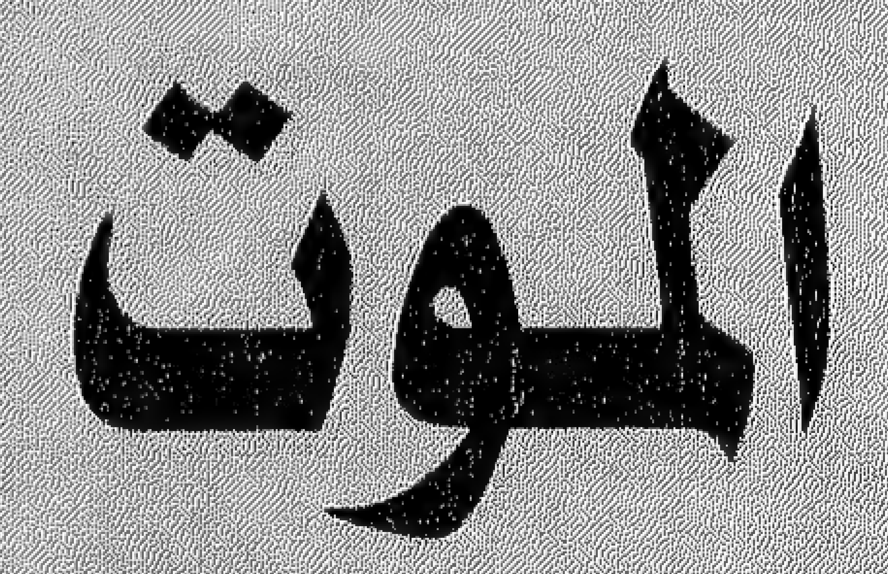
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك - على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢ قسم التوزيع والاشتراكات ت : ٣٩١٥٤٥٦

هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦



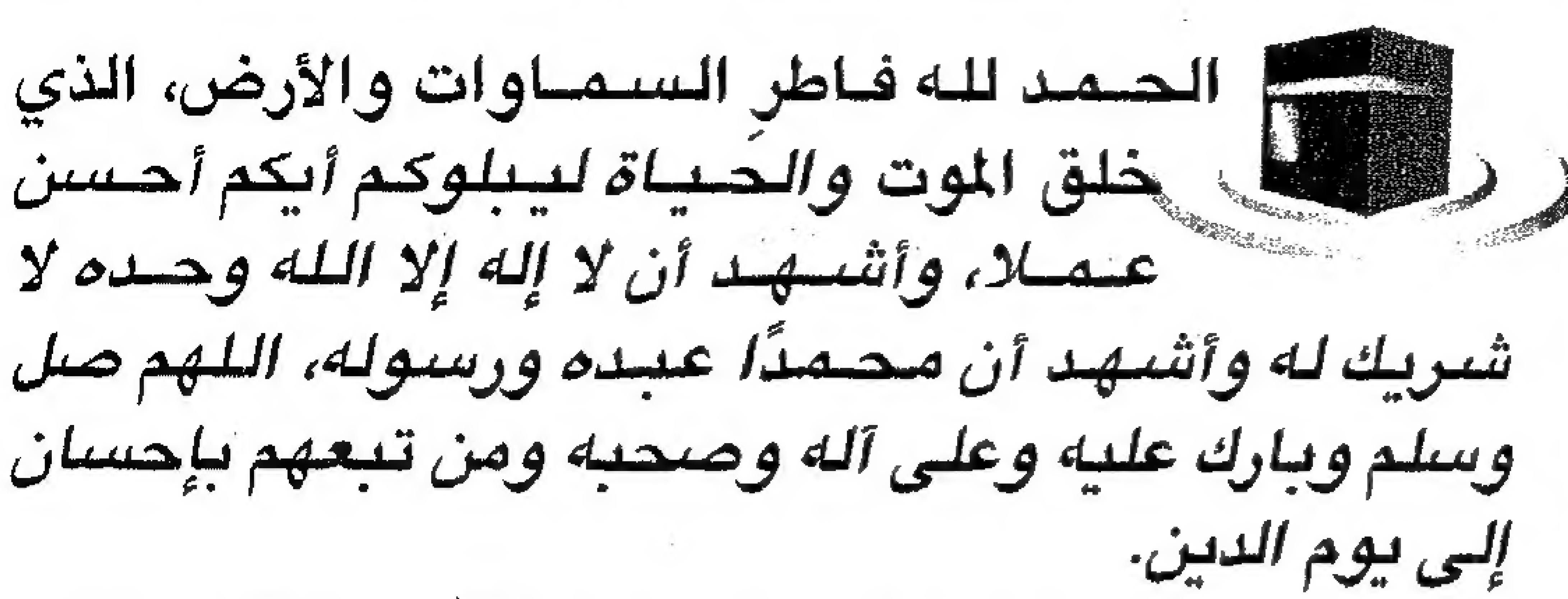




عظة الموت



بقلم
د. جمال المراكبي



الحمد لله فاطر السماوات والأرض، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فإن الله عز وجل جعل الموت حلقةً من حلقات الحياة يتم به الاختبار والابتلاء، فالموت ليس فناءً كما يعتقد الجاهلون، بل هو انتقال من دار إلى دار، وبرزخ يفصل بين حياتين، حياة الاختبار والابتلاء، وحياة الجزاء والبقاء، والحياة الحقيقية هي حياة الآخرة وإن آثر أكثر الناس الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى:١٦-١٧]، وقال: ﴿ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر:٣٩].

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» [رواه البخاري].

والموت هو اليقين حقًا، وإن أعرض الناس عنه وحادوا، والحياة الدنيا دار البلاء والاختبار والعمل لما بعد الموت.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق:١٩].

وقال: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩] أي: الموت.

ولما مات عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ: «أما عثمان فقد جاءه اليقين».

فالموت حق لا يُعرض عن ذكره إلا غافل، ولا يفر منه إلا جاهل، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة:٨].

ولهذا أمر النبي ﷺ بالإكثار من ذكره والاستعداد له فقال:

الموت هو اليقين حقا وإن أعرض الناس عنه

الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة وإن آثر الناس الحياة الدنيا

«أكثروا ذكر هادم اللذات».

ففي ذكر الموت فوائد عظيمة؛ فهو أدعى لقصر الأمل في الدنيا والزهد في زخارفها، والحرص على العمل الصالح وإحسانه، ومحاسبة النفس على ما فعلت، والمبادرة للتوبة النصوح، وأداء الحقوق إلى أصحابها، ثم هو يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي، وذكر الموت في كل حال أدعى لصلاح الحال؛ ففي صلاتك: قال رسول الله ﷺ «اذكر الموت في صلاتك، فإن المرء إذا ذكر الموت في صلاته فحري أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها» [صحيح الجامع].

وفي صباحك ومسائك؛ «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لمرضك، ومن فراغك لشغلك».

وعند نومك «اللهم إني أسلمت نفسي إليك». «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وعند يقظتك «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وفي سائر حياتك «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» [البخاري].

والموت راحة للمؤمن من تعب الدنيا ونصبها، ونهاية سعيدة لهذا الابتلاء الذي عاناه فيها، أما الكافر فبالموت يبدأ شقاؤه وعناؤه والعياذ بالله.

مرت جنازة فقال النبي ﷺ: «مستريح أو مستراح منه؛ أما المؤمن فيستريح بالموت من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» [البخاري].

وتبدو هذه الراحة في بشارة الملائكة للمؤمن عند الموت لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

والبلاء الذي يتعرض له المؤمن قبل موته يكفر عنه ذنوبه ويرفع درجته؛ فإنه لا يصيب المؤمن همٌّ ولا غمٌّ ولا نَصَب ولا أذىً حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه.

قال رسول الله ﷺ: «إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله عز وجل لملائكته: اكتبوا له صالح عمله، فإن شفاه الله غسله وطهّره، وإن قبضه غفر له ورحمه» [صحيح الجامع].

إن الموت مصيبة لابد منها، تراها وتبتلى بها فيمن تحب ثم تبتلى بها في نفسك.

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم

ذكر الموت في كل حال أدعى لصلاح الحال

إن الموت مصيبة لابد منها، تبتلى بها فيمن تحب، ثم تبتلى بها في نفسك

ولفقد نفسك لا أبالك أفجع

ولقد قضى الله الموت على ثلاثة من إخواننا وأحبتنا في هذا الشهر، الأول أخونا الشيخ كمال النادي عضو الجماعة وعضو مجلس إدارة فرع المحلة الكبرى.

والثاني أخونا الشيخ أحمد المسلمي مدير الإدارة المالية بالمركز العام للجماعة ورئيس فرع الإسماعيلية.

والثالث الشيخ عباس عبد الحفيظ شحاته من قدامى مسئولي الدعوة بفرع الجيزة.

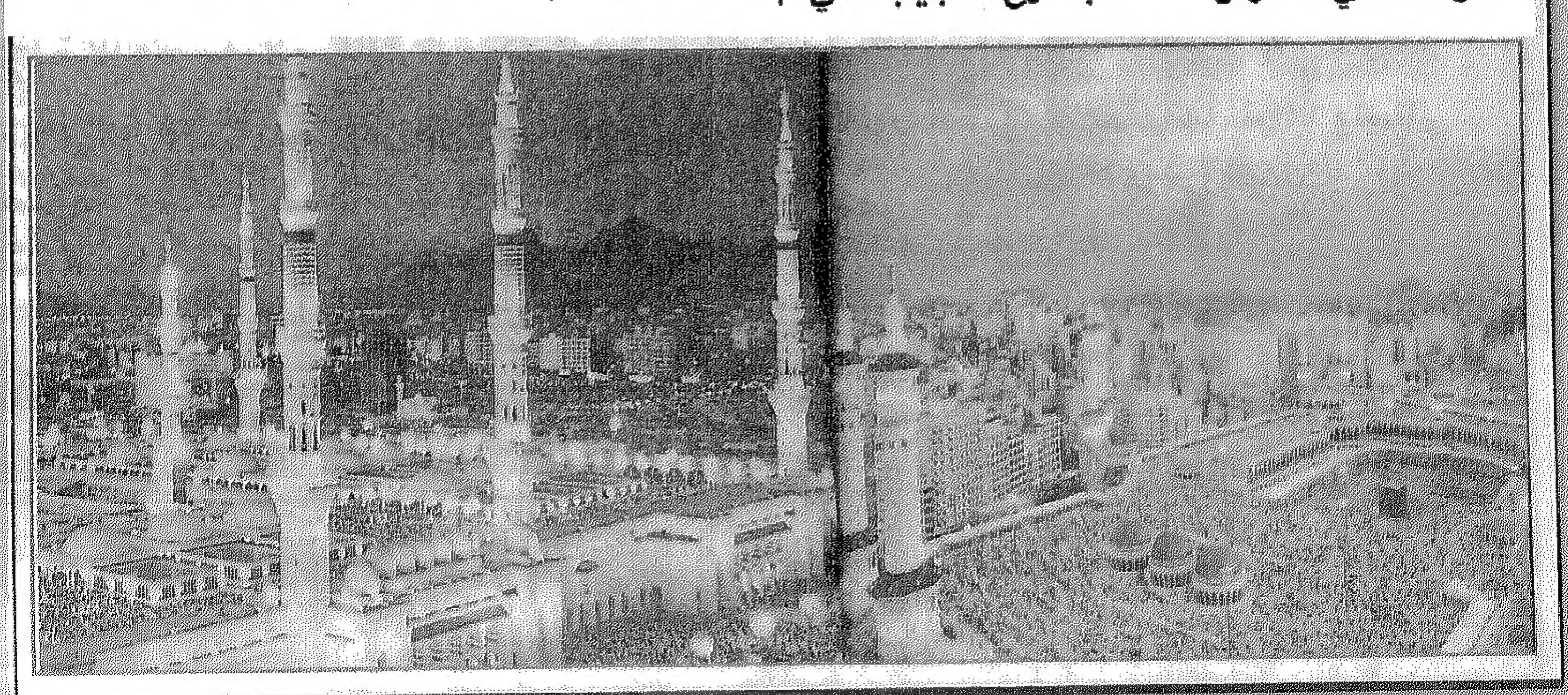
فلله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، ولا نملك إلا أن نصبر ونحتسب فقدهما عند الله عز وجل فالعين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وما نرجوه من الله بالصبر والاحتساب خير مما كنا نرجوه ونؤمله من حياتهما رحمهما الله، ولكن صبرنا واحتسابنا خير لنا عند ربنا، والله خير لهما منا فهو الغفور الرحيم أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها التي لا تطرح ولدها في النار وما الله بطارح حبيبه في النار.

فاللهم ارحمهما واغفر لهما وافسح لهما في القبور. وتجاوز عن ذنوبهما يا رحيم يا غفور.

اللهمَّ وثبتنا على الإيمان، ووفقنا للتمسك بهدي النبي ﷺ وأمتنا على سنته وطريقته.

اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا إذا كانت الوفاة خيرًا لنا. اللهم ونسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيمًا لا ينفد، ونسألك قرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مُضلة، اللهم زَيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.







الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى. وبعد..

فإن أعداء الإسلام يحاولون بكل ما أوتوا من قوة أن يبثوا في نفوس الأمة الرعب والخوف والذعر، ويحدثوا ما يحدثون في صفوف الأمة، وكم مرت بالأمة المسلمة من أحداث، ولكن هذا الدين لا يزال باقيًا ولله الحمد. كم مرت بهم الحروب الصليبية، وحروب التتار، وكم وقع بالأمة ما وقع، ولكن ولله الحمد لا يزال دينها باقيًا منصورًا بنصرة الله له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقال ﷺ: «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله».[متفق عليه]

والهجمة الشرسة التي يقودها الغرب وعملاؤه في الداخل من دعوة لتجديد الخطاب الديني يرفعها البعض بالحق، وكثيرون يرفعونها بالباطل. فإذا كنا نعترف أننا بحاجة إلى التطوير والتجديد. ولكن ليس ذلك استجابة لوحي خارجي. وإنما هو استجابة لملاحظات داخلية تتعلق بقدرة الداعية على نقل طبيعة وسماحة الإسلام للآخرين.

وإذا كنا نعترف بأن هناك أوجه قصور لدى المشتغلين بالدعوة من حيث سعة الثقافة، والتعامل مع معطيات وقضايا العصر، فنحن بحاجة لداعية يعرف مثلا مشكلاتنا الاقتصادية، ويدعو في خطابه إلى تعديل سلوك المسلمين فيما يتعلق بالعمل والإنفاق لنتجاوز هذه الظروف، وهكذا في كل المشكلات الحياتية.

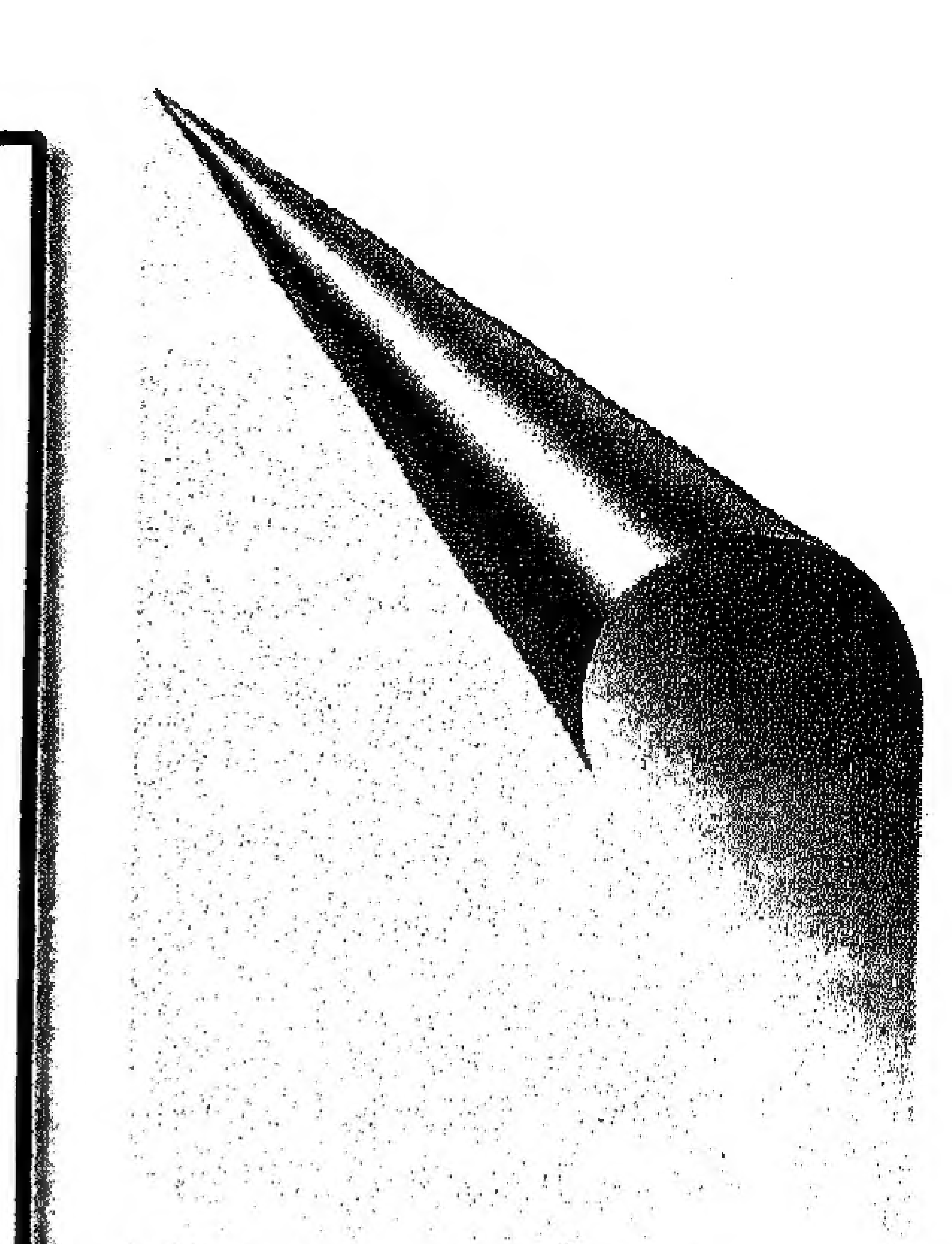
أما أن يطالب أصحاب القلوب المريضة بالخروج على ثوابت الدين ويدَّعوا أن ذلك تطويرًا للخطاب الديني فهذا كذب لا يجب الالتفات إليه. وإنما التطوير مبدأ إسلامي خالص، والرسول ﷺ هو القائل: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»... والتجديد المقصود هو تجديد أساليب الدعوة والإقناع، وموافقة هذه الدعوة لأساليب ومتغيرات الحياة.

أما أن يتحدث عن تطوير الخطاب الديني وتجديده من يخلو فكره من أي فقه ديني، أو حتى غير ديني فهذا تدخل غير مقبول من هؤلاء الذين جُنِّدوا من قبل الغرب وأعداء الإسلام للقيام بهذا الدور، وإن كل ما أثاروه ليكشف عن خور هؤلاء وضعف أفكارهم البالية، ويبدو أن بعض الناس قد فقدوا عقولهم وصوابهم، ويحتاجون إلى أن يفيقوا من غفلتهم، فما يقولونه هراء لا يمكن قبوله، لأننا لابد أن نسلم أن لهذا الدين ثوابت، وثوابت الإسلام «القرآن والسنة». بفهم سلف الأمة «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا. كتاب الله وسنتي».

قدسية النص القرآني

وأصحاب الأهواء مع اعترافهم بقدسية النص القرآني إلا أنهم يرون أن أحكامه يجب أن تنحصر في حدود الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول.

والذي يجب معرفته أن قداسة النص مرتبطة بكون هذا النص



يصلح في جوهره لمسايرة الحياة ومستقبل الأيام، فالقرآن الكريم على سبيل المثال وليس الحصر عندما تحدث عن الربا وأمر بتحريمه، واعتبره كارثة، وهدد المرابين بحرب من الله ورسوله، وجدنا الأيام تمر، ويؤكد علماء الاقتصاد في عصرنا الحاضر أن البشرية لن تجد أمنها الاقتصادي إلا إذا تحررت مما يسمى بسعر الفائدة، وتحريم كل المعاملات الربوية، وإن ذلك ليعدُّ دليلا واضحًا يؤكد على أن النص صالح على مر الأيام لمعالجة أمور الحياة للناس ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]

أما فيما يتعلق بأسباب النزول فلا ينفي أحد أن هناك أسبابًا لنزول عدد من آيات القرآن الكريم، ولكنها أسباب متكررة ومتجددة إلى أن تقوم الساعة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذلك فالقول بانتهاء النص القرآني قول عار من الصحة تمامًا.

تناقض وتضليل فكري

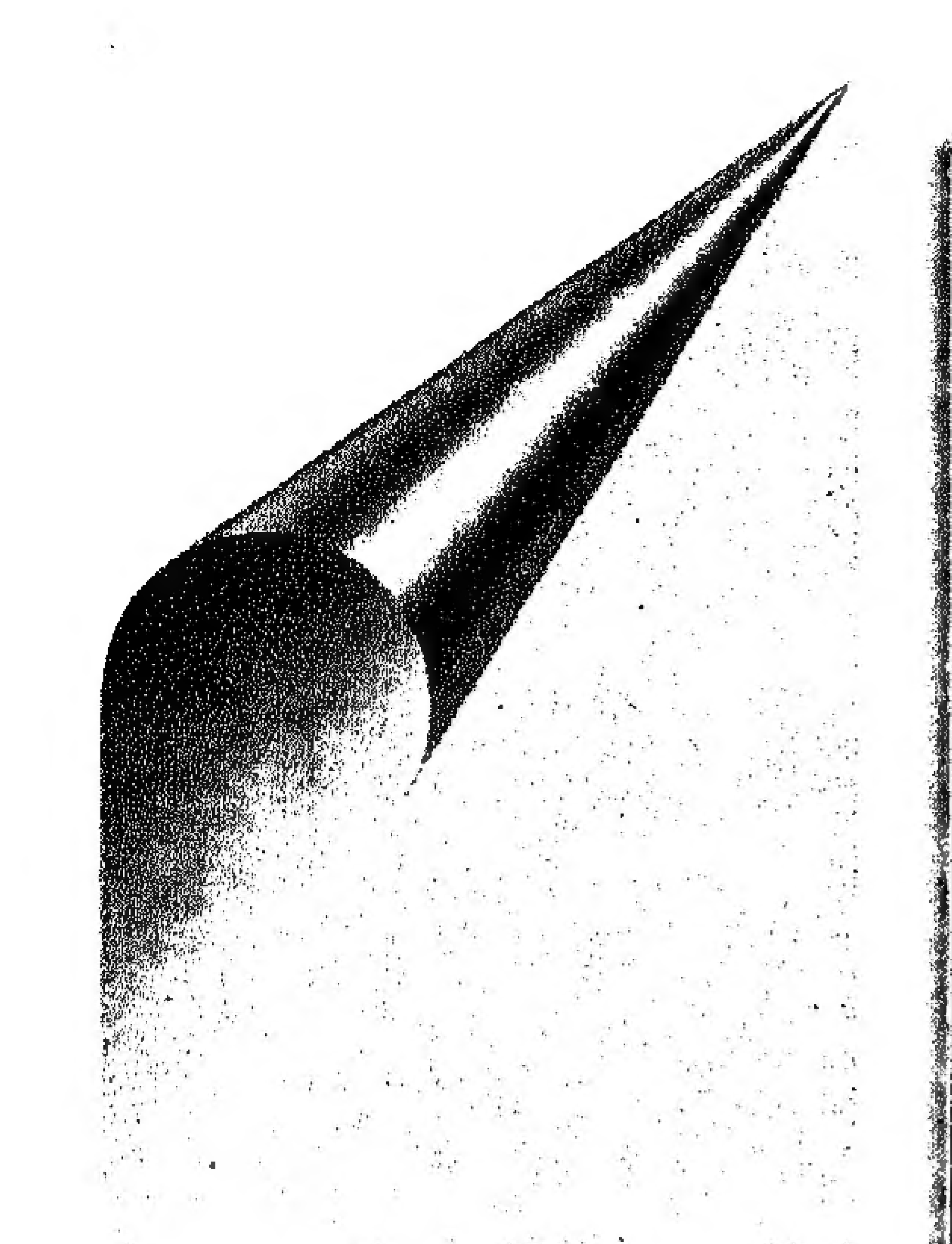
ومن حين لآخر يخرج علينا من يتحدث عن صراع الحضارات.. وادعاء تصادم الحضارة الغربية مع الحضارة الإسلامية. لا ينم إلا عن جهل وتضليل، وعبث فكري، فالإسلام في مصدره الأول وهو القرآن الكريم يتحدث عن الآخرين دائمًا باحترام، وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى ذلك في كتابه الكريم وهو خير القائلين: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال أيضًا: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، ومن العجب أن يتهم الإسلام والمسلمون برفض الآخرين رغم هذا القبول والاعتراف الواضح في القرآن الكريم، ولا يُتهم من لا يعترفون بالإسلام وينكرونه تمامًا؛ أنهم يرفضون الآخرين أليس هذا تناقضًا ودليلا واضحًا على التضليل الفكري الذي يعيش فيه أصحاب تلك المقولات الضالة؟!!

خيرية الإيمان

واتهام الأمة الإسلامية بأنها أمة استعلاء انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فالقائلون بهذا الاتهام لم يفهموا الآية، فقد أعمى الله قلوبهم وأبصارهم، فالمقصود بالخيرية في الآية ليست خيرية جنس أو لون كما يدعي اليهود أنهم شعب الله المختار، فالخيرية خيرية قيم والتزام، ولو أكملوا قراءة الآية لفهموا ذلك حيث جاء في المقطع الآخر منها: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهذه القيم وهذا الالتزام الإيماني هو سبب الخيرية وليس الجنس أو اللون، وليس لأننا فقط مسلمون!!..

وهناك آية أخرى لم يضربوا بها مثلا رغم أنها تؤكد علو المؤمنين، حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، ومفهومها الصحيح أننا الأعلى لسبب واحد فقط وهو الإيمان، وليس مجرد الانتماء إلى الإسلام، والانتماء إلى جنس أو عرق فأي استعلاء في ذلك؟!

أصحاب القلوب المريضة يطالبون بالخروج على ثوابت الدين، ويدّعون أن ذلك تطويراً للخطاب الديني وهذا كذب لا يجب الالتفات إليه



وأهل الإيمان لا تزيدهم الأحداث إلا صلابة في دينهم وثباتًا على إسلامهم، لا تزحزحهم الأحداث، ولا تسلطُ الأعداء، ولا يضعف عندهم الإيمان بل يقوى اليقين ويقوى الإيمان ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، والمؤمنون يعلمون أن الأعداء يتربصون بهم ويثبطون هممهم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

منهج أهل الإسلام

وأهل الإيمان حقًا يعلمون بما دلّ الكتاب والسنّة عليه أن النصر لأهل الإسلام والعاقبة للمتقين إن صدقنا الله حقًا، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فإذا وجد الإيمان الصادق فلأهل الإيمان النصر والتمكين والتأييد ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، ومهما حاول العابثون أن ينالوا من إسلامنا، فالله حافظٌ دينه وناصرٌ حزبه. وأهل الإيمان أمام الأحداث والبلايا يكثر التجاؤهم إلى ربهم وتضرعهم بين يديه، مع أخذهم بكل سبب نافع، لكنهم يلجأون إلى الله ويلحون في الدعاء آناء الليل وأطراف النهار، فما أصاب المسلمين من كرب ففوّضوا أمرهم إلى ربهم، والتجأوا إليه إلا وجدوا الله توّابًا رحيمًا. ها هم أنبياؤه ورسلُه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا إذا نزلت بهم المضائق لجأوا إلى الله، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧، ٨٨]، ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ... ﴾ [الأنبياء:٨٩].

ثم أهل الإيمان ذلك يحسنون الظن بربهم ويعلمون أنه الحكيم العليم، مهما وقع من فتن ومؤامرات من الخارج وفي الداخل ضد الإسلام والمسلمين، فالواجب عليهم أن يقفوا صفًا واحدًا وأن يكونوا قوة متماسكة. وأن هذه الغمم وتلك البلايا سيزيلها الله بفضله وكرمه.

ولكن علينا أن نتمسك بديننا، وأن نثق بوعد ربنا وأن تكون على المنهج القويم ونسأل الله الثبات على الخير والاستقامة على الهدي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أصحاب الأهواء مع اعترافهم بقدسية النص القرآني إلا أنهم يرون أن أحكامه يجب أن تنحصر فقط في حدود الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول



زيارة وفد أنصار السنة لمعالي وزير الأوقاف

الزمان: الأحد الموافق ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠٣.

المناسبة: زيارة وفد أنصار السنة المحمدية لوزارة الأوقاف.

التفصيل: من باب التواصل بين الجهات الدعوية؛ الأزهر والأوقاف في مصر وبين جماعة أنصار السنة المحمدية قام وفد من الجماعة بالمركز العام بزيارة معالي الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف، الذي اشتقبل الوفد بترحاب شديد.

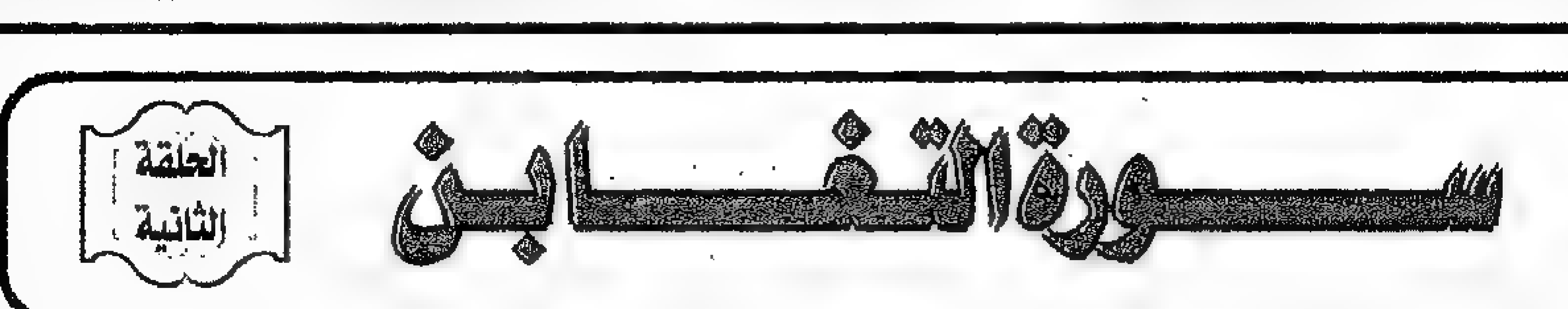
وقد أبدى معالي الوزير استعداده واستعداد الوزارة للتعاون الكامل مع جماعة أنصار السنة المحمدية باعتبارها رائدًا من رواد الدعوة من منطلق السعي الحثيث للجميع للنهوض بالدعوة في مصر.

وقد أكد معالي الوزير خلال كلماته إلى وفد أنصار السنة بأن التعاون ممتد في كل المجالات وعلى جميع المستويات.

كما أعاد معاليه التأكيد على أن الوزارة متعاونة بشأن ضم المساجد، وأنه في حالة ضم أي مسجد من مساجد الجمعية إلى الأوقاف يتم ترشيح العمالة من قِبَل الجمعية، ويتم تثبيت الإمام إذا كان يحمل تصريحًا بالخطابة، أو تنتدب الجمعية إمامًا للمسجد ممن يحملون تصريحًا من الوزارة، وأن يكون مجلس إدارة المسجد من الجمعية، وإمام المسجد عضوًا في مجلس الإدارة.

وقد قام أعضاء الوفد بعرض موضوع معاهد إعداد الدعاة الخاصة بالجماعة في المركز العام وفروعه، وقد أعرب معاليه عن موافقته على إقامة تلك المعاهد بعد عرض المناهج وأسماء القائمين بالتدريس في تلك المعاهد أسوة بما أتبع مع الجمعية الشرعية في ذلك المنحى.

وقد ضم الوفد الدكتور جمال المراكبي الرئيس العام للجماعة، والشيخ أبو العطا عبد القادر الأمين العام للجماعة، والشيخ علي حشيش مدير إدارة الدعوة، والشيخ أحمد يوسف مدير العلاقات العامة، والأستاذ جمال سعد حاتم رئيس التحرير.



﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ٧- ١٢]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

تفسير الآيات

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار والمشركين والملحدين: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ فكذَّبهم فيما أخبر عنهم به بنفس صيغة الخبر، فإن الزعم مطيةُ الكذب- كما يقولون-.

ثم أمر اللهُ نبيه أن يقسم بربّه على أنّ البعث حق، لا كما زعموا، فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾، وهذه ثالثة ثلاثِ آياتٍ أمر الله فيها نبيه أن يقسم بربه على أن البعث حق، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]، وقد أقسم الرب سبحانه بنفسه على أن البعث حقّ، فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٦- ٦٨]، فأقسم الربُّ سبحانه بذاته على بعث عباده، وأمر نبيّه ﷺ أن يقسم أيضًا بربّه على ذلك، فمن كذّب بعد ذلك فالنار أولى به، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١١- ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾. كقوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، وكقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]؟

عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذًا بيد ابن

عمر إذ عرض له رجلٌ فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقولُ في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إنّ اللهَ يدني المؤمن فيضعُ عليه كنَفَه ويستُره من الناس، ويقرّره بذنوبه، ويقول له: أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنب كذا؟ حتى إذا قرّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنْ قد هلك، قال: فإنّي قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يُعْطَى كتابَ حسناته. وأما الكفارُ والمنافقون فيقولُ الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم، ألا لعنة الله على الظالمين». [متفق عليه].

وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم، كما قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

ولما أخبرهم سبحانه أنهم مبعوثون، وبأعمالهم مجزّيون، أرشدهم إلى طريق النجاة، فقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ يعني القرآن.

وقد سمّى الله كتابه نورًا في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، فبالقرآن يستضيء الحيارى في ظلمات الكفر والجهل والضلالة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا تخفى عليه من أعمالكم خافية، فراقبوه، واستحيُوا أن يراكم حيث نهاكم.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة؛ سمّي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]. اهـ من ابن كثير.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ والتغابن في الأصل: من الغبن وهو الخداع في البيع والشراء، فمن باع سلعةً بأقلّ مما تستحق، أو اشتراها بأكثرَ مما تستحق، فهو مغبون، فأراد الله أن يُعْلِمَ عباده أن الغبْن الحقيقي هو ما يكون في الآخرة، حين يَغْبِنُ أهلُ الجنة أهلَ النار، وذلك حين يأخذ المؤمن منزل الكافر في الجنة، ويعطيه منزله في النار، وتوضيح ذلك أن الله خلق لكلّ عبد منزلين، منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، فمن آمن فقد فاز بالجنة، ونجا من النار، ومن كفر فقد فاتته الجنة وفاز بالنار، فإذا كان يوم القيامة أعطى المؤمنُ الكافرَ منزلَه في النار، وأخذ منزلَه في الجنة، وذلك هو التغابن الكبير.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فيه أن النجاة إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح، والإيمان معروف، أما العمل الصالح فلا بد أن يكون خالصًا لله، وموافقًا هدي

رسول الله ﷺ، حتى يكون مقبولاً، فمن آمن وعمل صالحًا فإنّ الله يكفّر عنه سيئاته، فلا يُجْزَى بها، بل يُجْزَى بحسناته، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ واضح المعنى.

ولما كانت الدنيا دار البلاء والمحن والشدائد والمصائب، أرشد اللهُ عباده إلى ما يستعينون به على هذه المصائب وهو الإيمان بأنها بقضاء الله، فقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كما قال تعالى في سورة الحديد: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، فكلُّ شيءٍ بقضاء الله، ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ فيعلم أن ما أصابه فبقضاء الله، فيصبر ويحتسب ويستسلم لقضاء الله، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويعلم أن الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضرّوه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، من يؤمن بهذا ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ اللهُ تعالى، ويرزقْه السكينة والطمأنينة، فلا يجد حرَّ المصيبة، بل تكون على قلبه بردًا وسلامًا، فيكون أمره كله له خيرًا، كما قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابتْه سرّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيرًا له». فوطِّن نفسك يا عبد الله على الرضا بقضاء الله، وإذا أصابتك مصيبة فقل: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها. ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، فإنّ الرسول ﷺ قال: «ومن يتصبّر يصبرّه الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر».

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ من الفوائد غير ما ذكرنا أن الإيمان من أسباب زيادة الهداية، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] بينما أهل الزيغ والضلال يُزيغ اللهُ قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

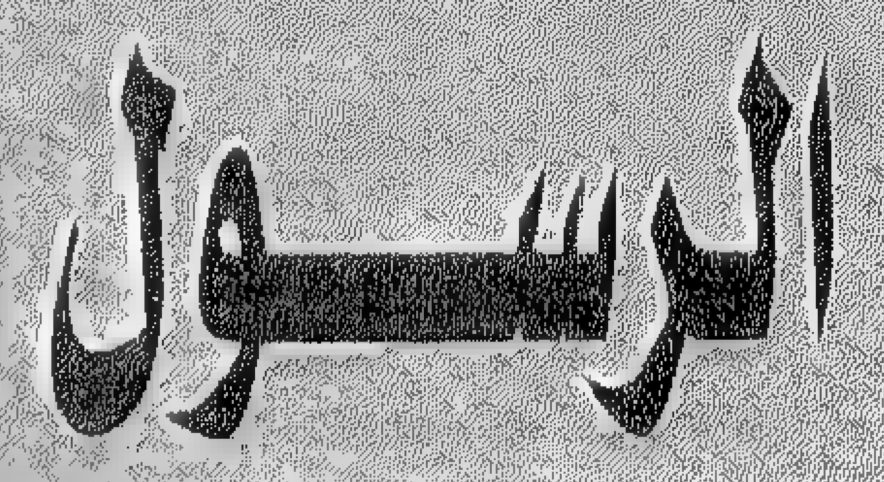
وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: أي: لا تخفى عليه خافية، وأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علمًا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، والآيات في ذلك كثيرة.

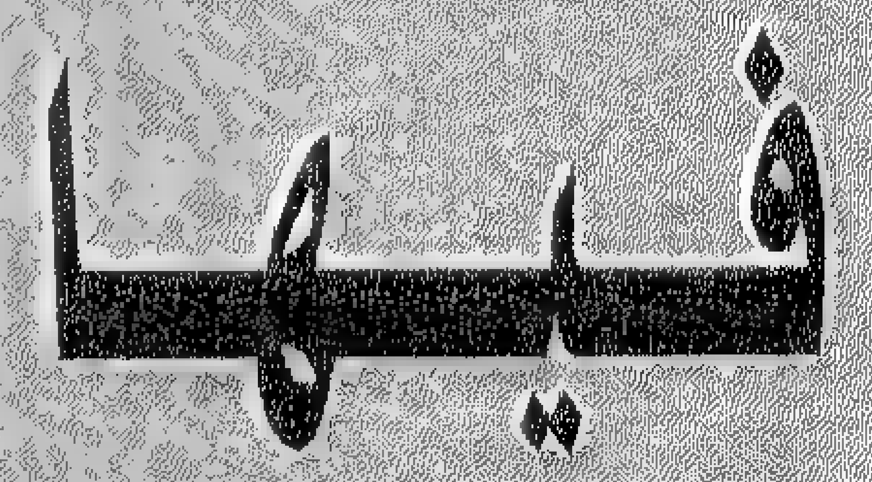
وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، فإن الفوز والنجاة في طاعة الله ورسوله، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ يعني: وقد أداه، فليس عليه من أوزاركم شيء.

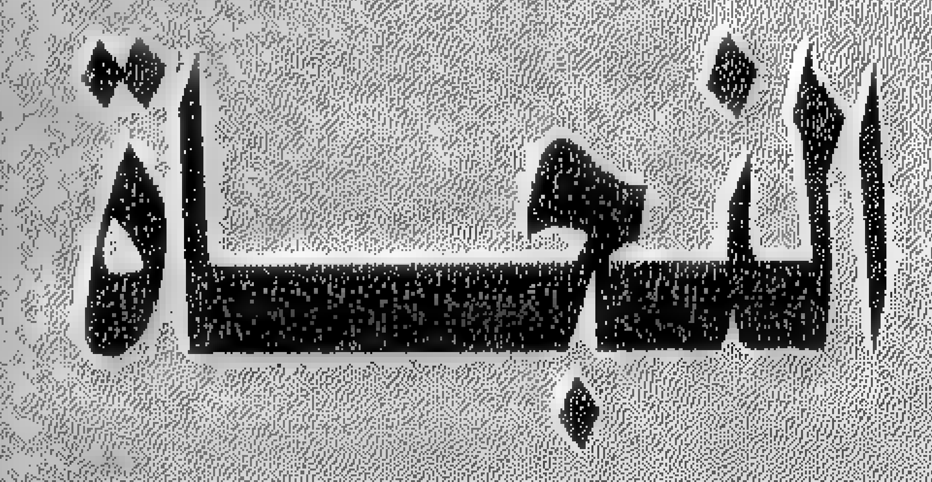
وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



طاعة







بقلم
زكريا الحسيني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد.

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما مَثَلي ومثلُ الناسِ كَمَثَلِ رجلٍ استوْقَد نارًا فلما أضاءتْ ما حَوْلَه جعَلَ الفراشُ وهذه الدوابُّ التي تقعُ في النارِ يَقَعْنَ فيها، فجعل الرجُل يَزَعُهُنَّ ويغْلِبْنَه فَيَقْتَحِمْنَ فيها؛ فأنا آخذ بحُجَزِكم عن النارِ وأنتم تَقَحَّمُون فيها».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٦٤٨٣) في كتاب الرقاق، وأخرج جزءًا منه في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٢٦)، وأخرجه الإمام مسلم برقم ٥٩٥٥ ورقم (٥٩٥٦)، و(٥٩٥٧) عن أبي هريرة وأخرجه عن جابر برقم (٥٩٥٨)، والترمذي عن أبي هريرة في الأدب برقم (٢٨٧٤) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بالأرقام: (١٠٣٨)، (٣٧٠٤)، (٤٠٢٧)، (٧٣١٨)، (٧٤٧٩)، (٨١٠٢)، (١٠٩٧٦)، (١٤٩٣٠).

شرح الحديث

قوله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الناس» أي: في دعائي الناس إلى الإسلام الذي فيه إنقاذهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم وتوسوس لهم شياطينهم من التمادي في الباطل والاستمرار على المعاصي والشهوات التي توردهم النار وتدخلهم جحيمها فيصلونها وبئس المصير.

وقوله ﷺ: «كمثل رجل» قال الحافظ في الفتح: المراد تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد، أي تمثيل حال الرسول ﷺ عند دعوته الناس إلى الإسلام لإنقاذهم من النار بحال رجل أوقد نارًا فجاء الفَرَاشُ والدَّوَابُّ فاقتحمتها وهو يذبها عن النار.

قوله: «استوقد نارًا» أى: أوقد، وزيادة السين والتاء إشارة إلى أنه سعى فى إيقادها واستحضار آلاتها، وقد وقع فى رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند مسلم «أوقد» واستوقد أبلغ من أوقد.

قوله ﷺ: «فلما أضاءت ما حوله» الإضاءة: شدة الإنارة وفرطها، و«ما حوله» حول الشيء: جانبه الذي يمكن أن ينتقل إليه، وجاء في رواية مسلم «ما حولها» فالضمير في «حوله» للرجل الذي أوقد النار، وأما في «حولها» فالضمير للنار.

قوله: «الفَرَاشُ» جاء في المعجم الوسيط: «الفَرَاشُ» جنس حشرات من الفصيلة الفراشية ورتبته حرشفيات الأجنحة، تتهافت حول السراج فتحترق، واحدتها فَرَاشَةٌ. ومنه المثل: «أَطْيَشُ من فَرَاشَةٍ». قال في الفتح:

جزم المازري بأنها الجنادب، وتعقبه عياض فقال: الجُنْدُبُ هو الصرار أي الذي له صوت، قلت (القائل ابن حجر) والحق أن الفراش اسم لنوع من الطير مستقل له أجنحة أكبر من جثته، وأنواعه مختلفة في الكبر والصغر، وكذا أجنحته، وعطف الدواب على الفراش يشعر أنها غير الجنادب والجراد.

قوله: «وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها» يدخل فيما يقع في النار البعوض والبرغش، وما أشبه ذلك من الحشرات التي تتهافت في النار.

قوله ﷺ: «فجعل الرجل يَزَعُهُنَّ»: أي: يدفعهن، وفي رواية (ينزعهن) بزيادة النون، وفي رواية عند مسلم من طريق همام عن أبي هريرة: «وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحُمن فيها» فالزَّعُ والدفع والحجز بمعنى واحد، ويقصد به الإبعاد.

وقوله ﷺ: «فيقتحِّمن فيها» أي يدخلن، وأصله القَحْم وهو: الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت، ويطلق على رمي الشيء بغتة، واقتحم الدار هجم عليها.

قوله ﷺ: «فأنا آخذ» قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «روي بوجهين: اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال «آخِذٌ»، والثاني: فعل مضارع بضم الذال بلا تنوين «آخذُ»، والأول أشهر، وهما صحيحان».

وقوله: «بحُجَزِكم» جمع حُجْزَةٍ وهي: مَعْقِدُ الإزار والسراويل، ويجوز في الجمع فتح الجيم وضمها.

قوله: «عن النار» وضع المسبب موضع السبب لأن المراد أن يمنعهم من الوقوع في الشركيات والمعاصي التي تكون سببا في دخول النار.

قوله: «وأنتم تقحمون فيها». «وأنتم» قال الحافظ في الفتح: في رواية (الكشميهني) «وهم» وعليها شرح الكرماني فقال: كان القياس أن يقول: «وأنتم» ولكنه قال «وهم» وفيه الْتِفات، وفيه إشارة إلى أن من أخذ رسول الله ﷺ بحجزته لا اقتحام له في النار، قال: وفيه أيضا احتراز عن مواجهتهم بذلك. قلت (القائل ابن حجر) والرواية بلفظ «وأنتم» ثابتة تدفع هذا. ووقع في رواية مسلم «وأنتم تفلَّتون» بفتح أوله والفاء واللام الثقيلة: «تَفَلَّتُون» وأصله «تتفلتون» حذفت إحدى التائين، وبضم أوله وسكون الفاء وفتح اللام «تُفْلَتُون» ضبطوه بالوجهين وكلاهما صحيح.

قوله ﷺ: «تَقَحَّمُون» أصله «تتقحمون» فحذفت إحدى التاءين.

نقل ابن حجر في الفتح عن الطيبي قوله: تحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وذلك أن حدود الله محارمه ونواهيه كما في الحديث الصحيح: «ألا وإن حمى الله محارمه»، ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها واستيفاء لذاتها وشهواتها، فشبه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستنقاذ الرجال من النار، وشبه فشوَّ ذلك في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف، وتعديهم حدود الله، وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات، ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حجزهم بالفراش التي تقتحمن في النار وتغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام، كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك، والفراش لجهلها جعلته سببا لهلاكها، فكذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة، واجتنابها ما هو سبب لهلاكهم، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم وهلاكهم.

أخي المسلم: ضرب رسول الله ﷺ في هذا الحديث مثلا مما مثل به حاله وحال الناس، وأنه يدعوهم إلى الإسلام الذي فيه نجاتهم من النار وسعادتهم الدنيوية، وفوزهم بجنات النعيم في الآخرة، وهم يأبون إلا دخول النار، ولقد مثل رسول الله ﷺ نفسه بأمثلة في هذا المعنى كما جاء في حديث أبي موسى الأشعريَّ

رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلُ ما بعثني اللهُ كمثل رجلٍ أتى قومًا فقال: رأيت الجيشَ بِعَيْنَيَّ، وإني أنا النذيرُ العُريانُ فالنَّجاءَ النَّجَاءَ، فأطاعه طائفةٌ فادَّلجوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفةٌ فصبَّحهم الجيشُ فاجْتَاحَهُمْ». أخرجه البخاري ومسلم، وزاد مسلم في رواية: «فذلك مَثَلُ من أطاعني واتبع ما جئتُ به، ومثل من عصاني وكذَّبَ ما جئتُ به من الحق». إلى غير ذلك من الأحاديث.

ولقد بين رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث وجوب طاعته، واتباع ما جاء به، وشفقته على أمته ورأفته بهم، وأنه إنما ينذرهم النار ويخوفهم عذابها، ويبشرهم بالجنة ويرغبهم في نعيمها، فمن أطاعه صلوات الله وسلامه عليه نجا وأفلح وفاز، ومن عصاه فقد هلك وخاب وخسر؛ قال ﷺ: «كل الناس يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

والله عز وجل أمر بطاعة رسوله ﷺ وعطفها على طاعته سبحانه وجعل الهداية في طاعته فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، كما جعل طاعته مع طاعة الله عز وجل سببا لرحمة الله تبارك وتعالى فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، لكنَّ أناسًا من أمته نظروا للأمر بعين واحدة، فقالوا القرآن فقط، وأما السنة فمن ألزمنا بها؟!! والجواب عن ذلك يسير؛ إذ كيف يأمر الله عز وجل بطاعة رسوله عاطفا إياها على طاعته لو لم تكن له سنة تتبع؟! فلقد كان يكفي أن يأمر الله عز وجل بطاعته وحده، ولا يعطف طاعة الرسول على طاعته، والله عز وجل أخبر أنه أنزل عليه الكتاب والحكمة، ولا شك أن الحكمة غير الكتاب، ولقد بين العلماء من السلف والخلف أن المراد بالحكمة في الآية إنما هو السنة، وأنكر البعض الآخر أحاديث بحجة أنها أحاديث آحاد، أو أنها لا تتفق مع العقل، والحق أن سلف الأمة إنما أقاموا الحجة وألفوا كتبا لرد هذه الشبهات، فألَّف الشافعي رحمه الله تعالى كتاب «الرسالة» في أصول الفقه وأقام الحجة فيه على حجية خبر الواحد؛ فإن رسول الله ﷺ كان يرسل الواحد إلى الناس يبلغهم دعوة الله عز وجل، وكانوا يقبلون منه أو يردون عليه، ولم يثبت أن بعض القبائل أو الأقوام قالوا: لن نصدقك حتى تأتي بشاهد يشهد معك على ما جئت به، بل إن الله تعالى أرسل معظم رسله واحدًا واحدًا، كذلك ألف جماعة من السلف كتبا في الرد على العقلانيين في ردهم لبعض الأحاديث، منها كتاب «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة رحمه الله تعالى. ثم إن العقول تختلف فما يوافق عقلي قد لا يوافق عقلك، وإنما المقصود هو التثبت من صحة ما ورد عن رسول الله ﷺ، فإذا ثبت وجب الإيمان به وتصديقه حتى وإن قيل عنه: إنه يخالف العقل.

فالواجب على كل مسلم أن يؤمن بما جاء عن الله تعالى وما جاء عن رسول الله ﷺ، وأن يُسلِّم بأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وأن يعمل بطاعة الله ورسوله وأن يجتنب المعاصي والموبقات حتى ينقذه الله عز وجل من النار ويدخله الجنة برحمته وفضله.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا والمسلمين من الموحدين الطائعين الفائزين الناجين، وأن يرزقنا الجنة ونعيمها، ويباعد بيننا وبين النار وعذابها، وأن يوحد صفوف المسلمين على التوحيد، وأن يجمع كلمتهم ويعلي رايتهم وأن يدحر الكفر وأهله والشرك وأهله.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.





في لحظات تاريخية يسجلها التاريخ؛ لحظات سعادة وسرور؛ يجدر بالمسلم ذكرها والحديث عنها، فبالأمس القريب شرفنا في مركز أنصار السنة بعابدين بالقاهرة فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى وإمام الحرم امتدادًا للتواصل بين أنصار السنة والمشايخ والأمراء والعلماء.

واليوم نسعد بلقاء واحد من هؤلاء المخلصينَ نحسبهم كذلكَ وهو العالم الجليل، وإمام الحرم المكي فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس حفظه الله، في زيارة لجماعة أنصار السنة.

وقد ألقى فضيلته كلمة أثناء الزيارة قال فيها:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... أما بعد:

حقيقة أنا عاجز عن إبداء شعوري ورصد مشاعري في هذه المناسبة.

فرصة سعيدة، ويعلم الله- بدون مجاملة ولا مزايدة- أنها تاج زيارتي، وأغلى ما رصد من جدولي في هذه الزيارة لمصر الحبيبة إلى قلوبنا جميعًا، والجماعة لها امتدادها التاريخي من أيام شيوخنا الأفاضل وعلمائنا الأجلاء رحمهم الله جميعًا.

وغني عن القول التأكيد على أن أهم مميزات هذه الجماعة ما تحلت به من صحة المعتقد وسلامة المنهج والحرص على نصرة السنة قولاً وفعلاً وعلمًا وخلقًا وأدبًا وسلوكًا، وهذه الجماعة في قلوب الجميع.

وهي في الحقيقة بلا مبالغة هي الجماعة الأُم التي يسعى كل محب للسنة وأهلها في اللقاء بمسئوليها وعلمائها وفضلائها، وإني سعيد لرؤيتي هذه الكوكبة المباركة المتميزة والفاعلة من إخواننا من العلماء والدعاة الحضور، ونحن معهم، وإن لم تكن هذه الزيارة في المحسوب لكنها في القلوب، ومنذ أن عرفنا هذه الجماعة واستفدنا من علمائها ومشايخها وتابعنا مجلتها المباركة «التوحيد»، الصغيرة في حجمها، الكبيرة في عطائها وأثرها، ونفعها، وخيرها، وأقول: لا أحب أن أكون ضيفًا على هذه الجماعة؛ لأني واحد من أهلها وأبنائها وأحبائها، بل من

خدمها، وأتشرف بكل ما تطلبه الجماعة وما يكون سببًا في النهوض ببرامجها ومشروعاتها وطموحاتها وتطلعاتها، مؤكدًا في الحقيقة على أهمية بذل المزيد من الجهود، لا سيما في هذه الآونة التي كثرت فيها الصوارف وتعددت فيها المتغيرات، وأصبحت المستجدات في الساحة متكاثرة ولا تعطي فرصة للتمهل.

نحن بحاجة إلى التأكيد على متانة هذه الجماعة ودعوتها وأصولها التي أسسها عليها أوائلها من علمائنا ومشايخنا، كما أن من الأهمية في نظري الحرص على زيادة مد الجسور في التعاون والتواصل بين هذه الجماعة وغيرها، ولا سيما من إخواننا في المملكة الذين يرون في هذه الجماعة أنها الجماعة الجديرة بالدعم والمؤازرة؛ لأن المنهج- والحمد لله والمنة- متفق، وكل يحرص على نصرة السنة ودعوتها قدر استطاعته.

وهذا في الحقيقة مع أنه تكليف، إلا أنه في غاية التشريف، الإنسان يرى الناس من حوله يتقلبون في الصوارف عن المعتقد الصحيح والمنهج السليم، أفرادًا أو جماعات، ونحمد الله عز وجل أن هدانا تبارك وتعالى إلى هذا المنهج الحق والسبيل القويم، وإن كان هناك من تأكيد فهو الحرص على تآلف القلوب، وسلامة الصدور والحرص على تآلف الكلمة، وسد المجال أمام كل من يريد التأثير في مسيرة هذه الدعوة، ومن يريد إيجاد الفرقة والخلافات بين الإخوة والعلماء، لا سيما من كانوا على منهج واحد، والحرص على تضامن الكلمة واجتماع الصف قضية مهمة جدًا، لا سيما مع كثرة النوازل والصوارف، وأن يكون هناك تقدير وسماع لما يكون من اختلاف في وجهات النظر بين طلبة العلم التي لا تخالف الأصل الثابت والمعتقد الصحيح وحرص صاحبها على نصرة السنة.

في الحقيقة ليست هذه كلمة، ولكنها ترحيب وإبداءٌ للمشاعر لجماعتنا وإخوتنا وأحبائنا وعلمائنا ومشايخنا ومعلمينا ورائدينا، وهذه الجماعة المباركة من فضل الله علينا وعلى المسلمين، وبفضل الله عز وجل أن يوفق الله الإنسان لعمل شيء من الخدمة لهذه الجماعة المباركة وأنشطتها، وهذا منهجها- ولله الفضل والمنة- على الجادة.

ليس عندي حقيقة في النهاية إلا الدعاء بمزيد من التوفيق والتسديد، وأن يعينكم الله عزَّ وجل ويثيبكم على الجهود المباركة، مؤكدًا الحقيقة على حرص محبيكم على التطلع إلى مزيد من المناشط والعطاء.

وأختم كلمتي بالشكر للإخوة الحضور جميعًا وأخص منهم: د. جمال في هذا الضحى المبارك، وقد شَرُفْتُ بزيارة هذا المقر الذي أعده حقيقة بيتي ومنزلي.

والعبرة ليست بالمباني ولكنها بالمعاني، أو أن العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، فنشاط هذه الجماعة ومجهوداتها- ما شاء الله- شيء رائع جدًا، ولا يحتاج إلى إشادة، ولكن تحتاج الدعوة إلى المزيد من التقارب والتنافس والتآلف والتآزر، فهذه الدعوة تحتاج إلى كل بذل وجهد، ودعوة الله قائمة، سواء بنا أو بغيرنا؛ لذا فإن الإخلاص في القول والعمل له دور عظيم جدا في التأثير في المدعوين والقبول من رب العالمين، والعبد الفقير من خدم هذه الجماعة، وأشكر لكم حقيقة عن نفسي وعن إخواني تقديرنا وإعزازنا لما تقومون به.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الاعتقاد الصحيح يجمع شمل الأمة

خطبة الجمعة

لفضيلة الشيخ/ عبد الرحمن السديس ببلبيس

في يوم مشهود كان اللقاء الذي شهدته عشرات الآلاف حيث شرفت مدينة بلبيس بفضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس بدعوة كريمة من فضيلة الشيخ السيد عبد الحليم رئيس أنصار السنة ببلبيس سابقا ورئيس جمعية الإيمان بنيويورك، وقد حضر الخطبة قيادات وزارة الداخلية وقيادات محافظة الشرقية وقد ألقى فضيلة الشيخ السديس خطبة الجمعة بمسجد التوحيد ببلبيس.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله مجدد الحنيفية ورافع لواء الوحدانية ومحطم عروش الوثنية، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار والتابعين الأخيار ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين... أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإن تقوى الله تبارك وتعالى وصيته للأولين والآخرين من عباده، يقول الله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾، من أراد عزًا وصلاحًا وقصد خيرًا ونجاحًا وأراد ثوابًا وفلاحًا فعليه بتقوى الله تبارك وتعالى، فإن تقوى الله هي العز والكرم، وحبكم للدنيا هو الذل والسقم.

معاشر المسلمين: الكل مدرك حاجة الناس إلى الطعام والغذاء والشراب والهواء والكساء والدواء، ولكن يا عباد الله، أتدرون ما هو أعظم من ذلك، وما هو أهم منه، وما الضرورة إليه أشد من كل ضرورة والحاجة إليه أعظم من كل حاجة؛ إنه الغذاء الحقيقي والزاد الروحي غذاء الإيمان وزاد العقيدة، العقيدة أيها الموحدون أساس أعلى وقاعدة الإسلام، من أجل العقيدة الصحيحة أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾.

معاشر المسلمين: إن قضية القضايا باتفاق وأساس القضايا على الإطلاق قضية التوحيد لله رب العالمين: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾.

أما والله لو علم الأنام
لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو وعته
عيون قلوبهم قاموا وهاموا

إن العبودية لله رب العالمين، شرف أيما



شرف وعزٌّ أيما عز وفخارٌ أيما فخار.

بالعقيدة الصحيحة تصلح القلوب وتأمن المجتمعات وينتشر الخير في الأمة وتتلاشى الجرائم: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾.

الحياة الطيبة لا تكون إلا في ظل العقيدة والإيمان وتحت ظلال الوحيين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وإن واجب العباد أن يعلموا عظم مسئوليتهم ورسالتهم في هذه الحياة، فقد خلقوا في هذه الحياة لرسالة عظمى وغاية كبرى؛ ألا وهي تحقيق العبادة لله وحده: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾.

تتضاءل القضايا أمام قضية توحيد الله عز وجل، وإن المتأمل فيما عليه الناس من صراعات ليجد أنها لا تنطلق من منطلقات عقدية صحيحة بل إن المتأمل لنصوص الكتاب والسنة ليجد أن قضية التوحيد لله عز وجل أجل القضايا وأهم القضايا، من أجلها بدأ القرآن وأعاد، ومن أجلها أشاد صرح العقيدة والإيمان، والحياة لا تقوم إلا على أساس الاعتقاد الصحيح لله عز وجل في تصيير الأمور كلها لله.

يا من ألوذ به فيما أؤمله
وأستجير به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يعيبون شيئًا أنت جابره

فالأمر لله عز وجل: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ إليه سبحانه المفزع عند الشدائد والملمات وإليه الملجأ عند كل الأمور والكربات، فلا ملجأ من الله إلا إليه، هذا الحبيب المصطفى رسول الهدى ﷺ يخبر الله عنه أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله: ﴿ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

في ظل صحة المعتقد وسلامة المنهج يأمن الناس وتسعد المجتمعات وتبنى الحضارات وتشاد الأمجاد بإذن الله، اسألوا التاريخ؟!

ما الذي جعل من هذه الأمة وهم الأفراد حفاة الأقدام ورعاة الغنم من الذي صنع منهم بإذن الله أعظم حضارة عرفها التاريخ... إنه الإيمان بالله عز وجل.

العقيدة تنشئ بإذن الله جيل الأمن والسلامة وجيل المحبة والأمان، العقيدة الصحيحة تنشئ جيلاً مجتمعًا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يخلص أعماله لله ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ لا يريد عرضًا ولا غرضًا من أغراض الدنيا وإنما يريد رفعة دين الله، لا يهمه أموره الخاصة ولا الأمور الشخصية والعادية لكن يُهمُّ رجل العقيدة أن تكون كلمة الله هي العليا، والمسلمون هم الذين لهم العزة والمكانة والخيرية في هذه الحياة: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، دين الله الذي يُبنى على العقيدة الصحيحة والاتباع لحبيب الأمة رسول الله ﷺ ينشئ جيل الوسط المعتدل الذي لا يغلو ولا يفرِّط: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.

فواجبنا عباد الله أن نحمد الله عز وجل على أن هدانا لهذا الدين: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾، وأن هدانا إلى هذه العقيدة الصحيحة والأمة من حولنا تتخطفها اللوثات العقدية المنحرفة والأمور المخالفة لما عليه عقيدة التوحيد الخالص لله فعلينا أن نحمد الله وأن نشكره أن هدانا للكتاب والسنة وأن منَّ علينا باتباع طريق سلف هذه الأمة رحمهم الله ورضي عنهم، فلا خير لهذه الأمة ولا عز لها إلا بتمسكها بما تمسك به الأولون، قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا؛ كتاب الله وسنتي». لن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولم يصلح أولها إلا بلزوم الكتاب والاعتناء بالسنة والاجتماع على ذلك.

أسس الوحدة الإسلامية

إن قضية الوحدة الإسلامية التي تنطلق من الكتاب والسنة لهي قضية مهمة جدًا في عصر علت فيه شعارات الفرقة والخلاف: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾.

العقيدة الصحيحة تجمع والأهواء تفرق، الكتاب والسنة هو الذي يوحد الأمة، والأهواء هي التي تشتتها، فعلينا عباد الله أن تجتمع قلوبنا على كتاب الله وعلى سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن نحلي أنفسنا بالإخلاص لله وبالمتابعة للحبيب عليه الصلاة والسلام: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

لا طريق للجنة إلا سنة المصطفى، والنبي المجتبى عليه صلوات الله وسلامه القائل: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

فعليكم عباد الله باتباع كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ، ففيها الخير والفلاح والعز والصلاح والثواب والنجاح في هذه الدنيا وفي الآخرة.

في الحديث من حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم وغيره: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار».

أبعد ذلك عباد الله، يشكك بعض الناس في الاهتمام بالعقيدة الصحيحة ومدى أهميتها وضرورتها في هذه الحياة، إذا كان عز الدنيا وجنة الآخرة لا تتحقق إلا لأهل الاعتقاد الصحيح ولأنصار سنة رسول الله ﷺ فلماذا يغفل بعض الناس عن الطريق الصحيح والله عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وإن أشد الأزمات وأخطر الفتن والظلمات هي ما صرف عن الاعتقاد الصحيح والسنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم.

ماذا جنت الأمة يوم أن ضيعت العقيدة الصحيحة؟! ويوم أن ضعف الإيمان في نفوس أبنائها؟! ويوم أن ضربت البدع والخرافات والمخالفات والشركيات في كثير من المجتمعات؟!

إنك أصبحت ترى قطعانًا من الناس لا يحملون غاية ولا يعملون لهدف ولا يحرصون على إقامة دين. خواء في الروح وفراغ في النفس وازدراء بالعقل وفي ذلك خسارة الدنيا والآخرة: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، أيكون أهل الباطل أشد تمسكًا بعقائدهم الباطلة من أهل الحق بعقيدتهم الصحيحة ؟

إن الناظر فيما يفعله اليهود في مقدسات المسلمين وفي الأرض المباركة فلسطين ليجد أنهم ينطلقون من منطلقات عقدية، يريدون أن تحل التوراة والتلمود والمزاعم المحرفة الباطلة مكان التوحيد والقرآن.

وفي هذا عياذًا بالله ازدراء بالأمة الإسلامية التي تحمل الخيرية والشهادة على العالمين أن تكون في ذيل القافلة، لكنَّ ذلك أيها المسلمون ليس مدعاة إلى أن تحكم العواطف البعيدة عن العقل والدليل، بل لا بد أن تربى الأمة على العلم، العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأن تربى على العمل الصالح، وأعظم ذلك الصلاة المفروضة والقيام بأركان الإسلام، وأن تربى الأمة على حب الخير للأمة وأن تصفو النفوس من الغل والحقد والشحناء والحقد والبغضاء: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

يجب أن تتربى الأمة على أخوة الإسلام: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، هذه التربية التي تحفظ للمسلم عرضه وماله وحقوقه كلها بعيدًا عن الأحقاد والضغائن التي عبثت بالأمة يوم أن صرفت عن التربية الإيمانية.

أيها المسلمون: إن علينا أن نجتمع على كتاب الله وعلى سنة رسوله عليه الصلاة والسلام وعلى فهم السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

إننا في عصر الفتن وفي عصر المحن، فتن في الشهوات وفتن في الشبهات فتن من تسلط الأعداء وفتن من انحلال جبهة الأمة الداخلية وتفرق الأمة شيعًا وأحزابًا، فالله الله في الاجتماع على الكتاب والسنة وعلى سنة الحبيب رسول الله عليه الصلاة والسلام.

يقول الإمام النيسابوري رحمه الله شيخ البخاري ومسلم: الذب عن السنة أفضل من الجهاد، ألا ما أحوج الأمة إلى أن يعود إليها ضعفاؤها، وإلى أن يعود إليها لواؤها، وإلى أن

ترتفع معالم السنة باطنًا وظاهرًا وأن تجتمع الأمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ.

فإياك والاستغراق في الشبهات والاسترسال في الشهوات، فالدنيا متاع، ومتاع الدنيا قليل، والدنيا ابتلاء وامتحان، وعليك أن تتقرب إلى الله وأن تأتي إلى طريق الله وأن تحرص على الاجتماع بإخوانك في الله وأن تحرص على أن تكون جنديًا من جنود الدعوة إلى الله عز وجل بكل ما تحمله الكلمة من معنى وبالمنهج السليم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبسنة نبيه الكريم.

فاتقوا الله عباد الله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار.

أيها المسلمون: إن قضية الإيمان بالله والتوحيد لله رب العالمين والاعتقاد الصحيح والمتابعة لرسول الله ﷺ أهم القضايا على الإطلاق متى تحققت في الأمة انطلقت الأمة من قدم راسخة ومن أصول ثابتة، إذا صلحت العقيدة صلح الأفراد والمجتمعات وصلحت سائر أمور الناس في عبادتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وأمورهم الاجتماعية وفي أمورهم كلها.

فالله الله عباد الله في السير على ما سار عليه الأوائل، وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، وخير الأمور السالفات على الهدى، وشر الأمور المحدثات البدائع.

لا بد أن تكون البيوت صروحًا لإشاعة التوحيد وبناء الأمة على العقيدة الصحيحة، يجب أن تقوم الأسرة بدورها وواجبها في تنشئة الأجيال على هذا المنهج السليم، يجب أن تكون المدارس منارات للعلم والتعليم والمعرفة على منهج صحيح على منهج كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وفيما لا يخالف ذلك من العلوم المباحة ويجب أن تكون وسائل الإعلام ومنهاج التعليم وأن تكون منطلقات الأمة كلها مبنية على العناية بهذا الأصل الأصيل والركن الركين في الأمة، ومتى تحقق ذلك تحقق للأمة خيرها بإذن الله.

من قوى إيمانه حسن خُلُقه وحسن تعامله، ومن صحت عقيدته كان فردًا عاملاً في أنحاء أمته ومجتمعه لا معول هدم فيها.

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك كله: أين الجنود المجهولون من رجال العقيدة الصحيحة الذين يعملون لله ويبذلون من أجله؟ يقومون لله، يتحركون لله، لا يريدون جزاءً ولا شكورًا، يقومون ويعملون كما عمل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومصعب وأسامة وبلال وخبَّاب، ينطلقون لنصرة عقيدتهم لا يريدون من أحد جزاءً ولا شكورًا، يصبرون على أشواك الطريق: ﴿الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، لا بد من العقبات، لكن لا بد من الصبر، ولتعلموا أيها المسلمون أن المبشرات أكثر من العقبات: «ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار حتى لا يدع بيت شجر ولا مدر إلا دخله بعز عزيز أو ذُلِّ ذليل». وهذا من بشائر نصرة دين الله عز وجل، فدين الله بالغ ما بلغ الليل والنهار ومنصور بنصر الله له، لكني أنا وأنت والآخر، كلنا جنود ينبغي أن نعمل لنصرة دين الله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾، حذاري من اليأس، حذار من الإحباط، حذار من ترك العمل، بل علينا أن نعمل لله ولنبشر بتوفيق الله عز وجل، أبشروا أيها المسلمون، أبشروا أيها الموحدون، أبشروا يا أيها السائرون على منهج رسول الهدى ﷺ بالفوز المظفر والنصر والتمكين.

هذه نصوص الشرع وهذه شهادات الواقع، فحذار من التخذيل، وحذار من المعوِّقين.

ولتكن دعوتنا بالأسلوب الحسن والحكمة والموعظة الحسنة وإعطاء الأمور مواقعها الشرعية، ألا وصلوا وسلموا رحمكم الله على الهادي البشير والسراج المنير كما أمركم بذلك اللطيف الخبير فقال عز من قائل: «إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا».

والحمد لله رب العالمين.





كتبه/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

تعتبر الآيات هي وحدات الإنزال التي كان النبي ﷺ يتلقاها عن الوحي؛ حيث اقتضت الحكمة نزول القرآن منجّمًا (أي مفرَّقًا)، وكان ذلك هو الأمر الغالب وقليلاً ما كانت تنزل سورة بتمامها- وهي مؤلفة في جملتها من مجموع آياتها- وأقل منه نزول كلمة أو بعض آية لتلحق بآية سابقة في مكانها، وآيات القرآن تختلف طولاً وقِصَرًا، فأقصرها قوله تعالى: ﴿طه﴾، ثم مثيلاتها مما كان على كلمة واحدة، ثم تتدرج إلى أطول آية في القرآن وهي آية الدين [البقرة: ٢٨٢]، ويعتبر لفظ «آية» في اللغة من المشترك اللفظي الذي يَصْدُق على معان متعددة منها:

أولاً: المعجزة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١] أي: معجزة واضحة.

ثانيًا: العلامة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] أي: علامة ملكه.

ثالثًا: العبرة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [الشعراء: ٦٧] أي عبرة لمن يعتبر.

رابعًا: الأمر العجيب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

خامسًا: البرهان والدليل، نحو قوله جلَّ ذكره: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، والمعنى: أن من براهين وجود الله واقتداره واتصافه بالكمال؛ خلق عوالم السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان.

تلك كلها إطلاقات لغوية، وقد يستلزم بعضها بعضًا.

ثم خُصَّت الآية في الاصطلاح بأنها: طائفة ذات مَطْلَع ومَقْطَع مندرجة في سورة من القرآن، والمناسبة بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية السالفة واضحة؛ لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إليها، ثم هي علامة على صدق من جاء بها عليه الصلاة والسلام، وفيها عبرة وذكرى لمن أراد أن يتذكر، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السموّ والإعجاز، وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم، وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته وصدق رسوله في رسالته.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «وتسمية هذه الأجزاء آيات هو من مبتكرات القرآن، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١]، وإنما سُميت آية؛ لأنها دليل على أنها موحى بها من عند الله إلى النبي ﷺ لأنها تشتمل على ما هو من الحدّ الأعلى في بلاغة نَظْم الكلام، ولأنها لوقوعها مع غيرها من الآيات جُعلت دليلاً على أن القرآن منزَّل من عند الله وليس من تأليف البشر؛ إذ قد تحدى النبيُّ به أهلَ الفصاحة والبلاغة من أهل اللسان العربي فعجزوا عن تأليف مثل سورة من سوره، فلذا لا يحقُّ لجُمل التوراة والإنجيل أن تسمىَ آيات؛ إذ ليست فيها هذه الخصوصية في اللغة العبرانية والآرامية، وأما ما ورد في حديث رجم اليهوديَيْن

اللذين زنيا من قول الراوي: «فوضع الذي نَشَر التوراة يده على آية الرجم»، فذلك تعبير غلب على لسان الراوي على وجه المشاكلة التقديرية تشبيهًا بجمل القرآن؛ إذ لم يَجِدْ لها اسمًا يعبِّر به عنها». انتهى.

تحديد مقادير الآيات

قال بعض العلماء: معرفة الآيات تتوقف على التوقيف(١)، ولا مجال للقياس فيها، واستدل على ذلك بما يأتي: وهو أن العلماء عدُّوا: ﴿المص﴾ [الأعراف: ١] آية، ولم يعد نظيرها وهو ﴿المر﴾ [الرعد: ١] آية، وعدُّوا ﴿يس﴾[يس: ١] آية، ولم يعدوا نظيرها وهو ﴿طس﴾ [النمل: ١] آية، وعدّوا ﴿حم (١) عسق﴾ [الشورى: ١، ٢] آيتين، ولم يعدوا نظيرها وهو ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١] آيتين، بل آية واحدة، فلو كان الأمرُ في ذلك مبنيًا على القياس لكان حكمُ المثلين فيما ذُكر واحدًا ولم يكن مختلفًا.

وتحديد مقادير الآيات مروي عن النبي ﷺ، وكان المسلمون في عصر النبوة وما بعده يُقدِّرون أحيانًا بعض الأوقات بمقدار ما يقرأ القارئ عددًا من الآيات، كما ورد في حديث سُحور النبي ﷺ أنه كان بينه وبين طلوع الفجر مقدارُ ما يقرأ القارئ خمسين آية. قال الزمخشري: «الآيات علم توقيفي».

ترتيب آيات القرآن

وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي، ومن المعلوم أن القرآن نزل منجَّمًا (أي مفرّقًا)، فربما نزلت عدة آيات متتابعة أو سورة كاملة.

قال الزركشي: «فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها»، وقال مكي وغيره: «ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ، ولمّا لم يأمر بذلك في أول براءة تُركت بلا بسملة». وقال القاضي أبو بكر: «ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم؛ فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا».

وفي كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد عن أبي وائل قيل لابن مسعود: إن فلانًا يقرأ القرآن منكوسًا، فقال: «ذاك منكوس القلب». رواه البيهقي.

ووقف عثمان في جمع القرآن عند موضع كل آية من سورتها في القرآن، ولو كانت منسوخة الحكم لا يغيّرها، وهذا يدل على أن كتابتها بهذا الترتيب توقيفية.

عن ابن الزبير قال: «قلت لعثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] » قد نسختها الآية الأخرى فلِمَ تكتبها أو تدعها؟ (أي لِمَ تكتبها وهي منسوخة أو لِمَ تدعها مكتوبة وقد نسخت، فـ«أو» للشك من الراوي أي اللفظين قال) قال: «يا ابن أخي، لا أغيّر شيئًا من مكانه». أخرجه البخاري.

قال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: «ضعوا آية كذا في موضع كذا». وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.

وقال مكي بن أبي طالب القيسي: «الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدَّفَّتَين، والذي حواه مصحف عثمان، وإنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وإن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله، ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدَّم من ذلك مؤخَّر ولا أُخِّر منه مقدَّم، وإن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءة وذات التلاوة».

وجاءت الأحاديث الدالة على فضل آيات من سور بعينها، ويستلزم هذا أن يكون ترتيبها توقيفيًا؛ إذْ لو جاز تغييرُها لما صدقت عليه الأحاديث، فقد روى مسلم عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال». كما جاءت الأحاديث الدالة على آية بعينها في موضعها، فقد روى مسلم عن عمر قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: «يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء».

وثبتت قراءة رسول اللّه ﷺ لسور عديدة بترتيب آياتها في الصلاة أو في خطبة الجمعة كسورة البقرة وآل عمران والنساء، وصح أنه قرأ «الأعراف» في المغرب، وأنه كان يقرأ في صبح الجمعة: «الم» السجدة و«هل أتى على الإنسان» «الدهر»، وكان يقرأ سورة «ق» في الخطبة، ويقرأ «الجمعة» و«المنافقون» في صلاة الجمعة، وكان جبريل يعارض رسول اللّه ﷺ بالقرآن في كل عام مرة في رمضان، وعارضه في العام الأخير من حياته مرتين، وكان ذلك العرض على الترتيب المعروف الآن، وبهذا يكون ترتيب آيات القرآن كما هو في المصحف المتداول في أيدينا توقيفيًا لا مِراءَ في ذلك. قال السيوطي بعد أن ذكر أحاديث السور المخصوصة «تدل قراءته ﷺ لها

بمشهد من الصحابة على أن ترتيب آياتها توقيفي، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبًا سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ مبلغ التواتر».

ترتيب الآي ليس على حسب النزول:

من المجمع عليه أن ترتيب الآيات ليس بحسب نزولها، وإنما يرجع إلى المناسبات والروابط البلاغية، فقد تنزل الآية بعد الآية بسنين وتكون في ترتيب الكتابة قبلها وليس أدل على هذا من تقدم بعض الآيات الناسخة على الآيات المنسوخة، مع أن الناسخ متأخر عن المنسوخ في النزول قطعًا، وذلك مثل آية: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فإنها ناسخة لآية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، فالأولى متقدمة في الترتيب متأخرة في النزول، وكذلك فإن ترتيبه على حسب النزول غير مستطاع لأحد من البشر لأن الله لم يُرد أن يكون تأليف كتابه المعجز على حسب النزول، وإنما اقتضت حكمته أن يكون على حسب المناسبات البلاغية، وأسرار الإعجاز.

عدد آيات القرآن

اتفق العادُّون لآيات القرآن الكريم من العلماء على أن عددها يزيد على ستة آلاف ومائتي آية إلا أنهم اختلفوا في تحديد الزيادة على هذا العدد المتفق عليه وقد تردد اختلافهم بين الأربع والخمس، والإحدى عشرة، والأربع عشرة، والسبع عشرة، والعشرين، والست والعشرين، والست والثلاثين.

سبب هذا الاختلاف

سبب هذا الاختلاف أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي تعليمًا لأصحابه أنها رؤوس آي، حتى إذا علموا ذلك وصل ﷺ الآية بما بعدها طلبًا لتمام المعنى، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبي ﷺ ليس فاصلة، فيصلها بما بعدها معتبرًا أن الجميع آية واحدة، والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها.

وأمر هذا الاختلاف في هذا القدر من العدد أمر هيّن لأنه لا يؤدي إلى زيادة في حروف القرآن أو في معناه، ولا إلى نقص فيهما. وإنما هو محصور في التقسيم العددي فقط.

فوائد معرفة الآيات

قال الزرقاني: «يزعم بعض الناس أنه لا فائدة من معرفة آيات القرآن. وللرد عليه نذكر لهذه المعرفة ثلاث فوائد لا فائدة واحدة:

الفائدة الأولى: العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي ﷺ وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار، ووجه ذلك أن الله تعالى أعلن التحدي بالسورة الواحدة فقال سبحانه: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]، والسورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة، وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر وهي ثلاث آيات قصار، فثبت أن كل ثلاث آيات قصار معجزة، وفي قوتها الآية الواحدة الطويلة التي تكافئها.

الفائدة الثانية: حسن الوقف على رؤوس الآي عند من يرى أن الوقف على الفواصل سنة بناءً على ظاهر الحديث الذي استدلوا به فيما يرويه أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم يقف، «الحمد لله رب العالمين»، ثم يقف، «الرحمن الرحيم»، ثم يقف. وقد قال بعض العلماء: إن في الاستدلال بهذا الحديث نظرًا؛ لأنه حديث غريب غير متصل الإسناد، والأصح ما رواه الليث عن ابن أبي مليكة عن يعلى ابن مالك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته، فقالت: ما لكم وصلاته؟ ثم نعتت قراءته مفسرة حرفًا حرفًا. ذكر ذلك الترمذي.

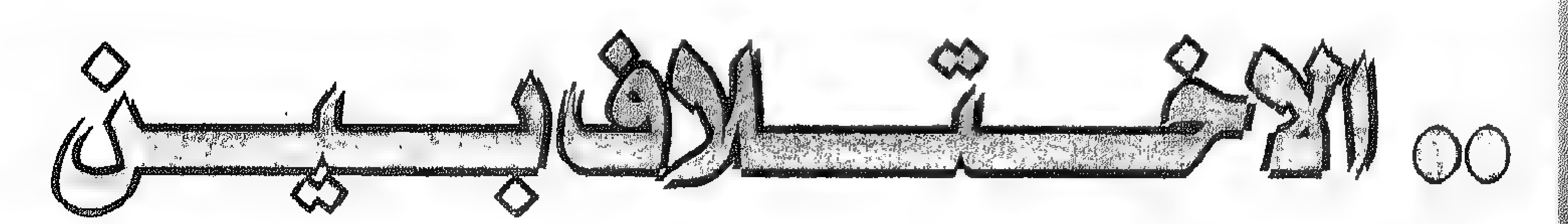
أقول: ويمكن الجمع بين هذين الحديثين بأن النبي ﷺ كان تارة يقف على كل فاصلة ولو لم يتم المعنى، بيانًا لرؤوس الآي، وكان تارةً يتبع في الوقف تمام المعنى فلا يلتزم أن يقف على رؤوس الآي، لتكون قراءته مفسرة حرفًا حرفًا.

وإن كان المشهور والمقدم بالنسبة للقارئ الوقف على رؤوس الآي لأنه الأكثر من فعل النبي ﷺ وهو المنقول عنه وهو كذلك سنة متبعة.

الفائدة الثالثة: اعتبار الآيات في الصلاة والخطبة. قال السيوطي ما نصه: «يترتب على معرفة الآي وعددها وفواصلها أحكام فقهية، منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات، ومنها اعتبارها في الخطبة، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة، وكذا الطويلة على ما حققه الجمهور- ثم قال-: ومنها اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة أو ما يقوم مقامها، وفي الصحيح أنه ﷺ كان يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة، ومنها اعتبارها في قراءة قيام الليل...» إلى آخر ما قاله. اهـ بتصرف. والحمد لله رب العالمين.

هامش:

(١) التوقيف: هو ما أتى به الشرع، ولم يكن لأحد الحق في الزيادة عليه أو النقصان منه ولا مجال فيه للرأي.



الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا، والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسله للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

أما بعد:

فإن الناس في أول أمرهم، قد أتى عليهم حين من الدهر كانوا أمة واحدة؛ قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم فرقت الشياطين بينهم حتى فرقت بين المرء وزوجه، وبين الرجل وأمه، وظلت الفرقة تزداد يومًا بعد يوم، كلما اتبع الناس خطوات الشيطان، وغفلوا عن تحذيرات القرآن المتعاقبة في سوره وآياته التي بينت أن الفرقة شر وعذاب، وقد نهاهم ربهم عنها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

والله عز وجل وحده هو الذي يؤلف بين القلوب: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وهو سبحانه لو شاء جعل الناس أمة واحدة؛ كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨].

والاختلاف في أصله ليس رحمة، بل هو كما وصفه الله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ونظرًا لاختلاف الناس في الفهم والإدراك، وتفاوتهم في نعمة العقل والذكاء، فالناس ليسوا سواءً؛ ونظرًا لذلك فإنهم يختلفون حتمًا بحسب ما آتاهم الله من ذلك الفهم.

والاختلاف الذي نقصده هنا له أقسام وأسباب.

فأما أقسامه: فهو ينقسم إلى قسمين:

الأول منهما: اختلاف في الأصول (العقيدة وما يتعلق بها). وهذا تنقسم فيه الأمة إلى: فرقة ناجية، وفرق ضالّة.

فأما الفرقة الناجية فهم: أهل السنة والجماعة، وهم: الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فمن كان على عقيدتهم وطريقتهم فهو على الحق الذي لا شك فيه ولا ارتياب.

وأما الفرق الضالة فهي: بقية الفرق الأخرى كالجهمية، والرافضة، والمعتزلة، والأشاعرة، وغير هؤلاء.

وأما الفرق المارقة من الدين كالعلمانية والماسونية والقاديانية والأحمدية وغيرهم من الملاحدة كالبهائية وغيرها، فليس حديثنا متعلقًا بهم ولا دائرًا حول فلكهم؛ لأن كفرهم لا يحتاج إلى برهان، وضلالهم غنيٌّ عن البيان!! والحديث عنه يأتي استقلالاً؛ لأنه يخرج عن موضوعنا، وإنما نتكلم- هنا- عن الاختلاف

السابقين واللاحقين ..

بقلم: صفوت الشوادفي . رحمه الله.

الواقع في داخل الأمة لا خارجها، وما أشرنا إليه يبين لنا في وضوح: أن المسلم يجب عليه أن يبحث عن الفرقة الناجية حتى يلحق بأهلها ويسير في ركبها، وهذا لا يعني- بالضرورة- أن يبحث عن أشخاص معينين أو جماعة بعينها، وإنما يبحث عن منهج الإسلام السوي الذي جاء مبينًا في الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها.

ويقال لمن انتسب إلى الفرقة الناجية إنه على الحق، ومن خالفها فهو على ضلال: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]، وهذا النوع من الاختلاف يسميه العلماء اختلاف تضاد.

وأما القسم الثاني من أقسام الاختلاف فهو: اختلاف في المسائل الفقهية؛ القولية والعملية فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات والحدود ونحو ذلك.. وهو اختلاف جائز بشروطه وضوابطه، وهو الذي كان يقع بين السلف، ويسميه العلماء: اختلاف تنوع.

والحق فيه أيضًا- كسابقه- لا يتعداه، لكنه قد لا يكون مع قول بعينه خاصة في مسائل الاجتهاد، ويسمى أحد الأقوال في هذا القسم من الاختلاف راجحًا بحسب الأدلة، ويكون القول أو الأقوال الأخرى في نفس المسألة مرجوحة، ولا يقال حق وضلال كما هو الشأن في القسم الأول المتعلق بأصول الاعتقاد، وقد ذكر الله لذلك مثالاً واقعيًا في كتابه كما قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

وينقلنا الحديث عن الاختلاف إلى بيان أسبابه: وقبل أن نخوض في هذا البيان فإننا نلفت النظر بشدة إلى ذلك الفرق الأساسي بين السابقين واللاحقين، أو إن شئت فقل: بين السلف والخلف!!

فإنهم رضي الله عنهم كانوا يختلفون عن علم، ونحن- هدانا الله- نختلف عن جهل وهوى، وشتان بين السببين، والفريقين، والعاقبتين، والثمرتين.

من أجل ذلك، فإننا نذكر أسباب الاختلاف عندهم، ثم نتلوها ببيان أسباب الاختلاف عندنا.

أسباب اختلاف السلف (السابقين):

ذكر ابن تيمية رحمه الله أن هذه الأسباب تجتمع في ثلاثة:

أولها: اعتقاد عدم ثبوت النص.

وثانيها: اعتقاد عدم انطباق النص على المسألة المتنازع عليها.

والثالث: اعتقاد نسخ الحكم.

ولأن اختلافهم رحمهم الله كان على علم وبصيرة؛ فإنه لم يترتب عليه فُرقة ولا قطيعة ولا تدابر أو تناحر أو تشاحن أو تخاصم؛ اللهم إلا شيئًا يسيرًا لا يعوّل عليه، ولا يلتفت إليه.

وإنما عاشوا كذلك لأنهم أخلصوا دينهم لله، واعتصموا به، وآتاهم الله علمًا وفهمًا- وهم الأميون- وإنما الجزاء من جنس العمل.

أسباب اختلاف الخلف (اللاحقين):

الأول: قبض العلم.. وقد بيّن الرسول ﷺ ذلك في قوله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء (أي بموتهم) حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فَسُئِلُوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا». إنها معجزة واضحة قد تحولت إلى حقيقة واقعة، فقد مات العلماء فعلاً وبقي المنتسبون إلى العلم، وفرق كبير بين عالم اليوم وعالم الأمس، ولما رفع العلم بقبض العلماء وزاد الجهل بزيادة الجهلاء، اختلط الأمر على الناس اختلاطًا عظيمًا، واستوى عند كثير منهم أن تكون الفتوى صادرة عن إحدى المجلات أو عن شيخ الأزهر!!

ووجُد في المسلمين اليوم طائفة تتبع كل من يفتيها سواء كان لاعب كرة أو فنانًا أو صحفيًا أو مواطنًا صالحًا! ومن كان له قلب يتدبر به؛ فإنه سيجد أن القرآن قد قسم المسلمين إلى طائفتين في جميع التخصصات:

١- أهل الذكر.

٢- الذين لا يعلمون.

ثم فرض على الطائفة الثانية أن تسأل الأولى فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، وحرم على الثانية أيضًا أن تتكلم بغير علم، فقال: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

فلو سأل كل مسلم نفسه: هل أنا من أهل الذكر في المسائل الشرعية؟ لكان الجواب الصادق على لسان كثير منهم: بل أنا من الذين لا يعلمون.

الثاني: من أسباب اختلاف المسلمين اليوم: نقص الإيمان؛ كما بين ذلك رسول الله ﷺ في قوله: «يذهب الصالحون الأول فالأول، ثم تبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله باله». والحثالة: البقية الرديئة، ومعنى: «لا يباليهم الله باله» أي: لا يقيم لهم وزنًا، والحديث يخبر يقينًا بذهاب الصالحين، أي: موتهم، ويبقى ضعاف الإيمان من أمثالنا لا يقيم الله لهم وزنًا، ومن المعلوم أن ذهاب العلماء (أي موتهم) يثمر نقص العلم ووفرة الجهل، وكتب العلوم الشرعية- اليوم- تشكو لله قلة قارئيها، وكثرة مالكيها.

وكذلك فإن ذهاب الصالحين (أي موتهم) يثمر نقص الإيمان وضعفه في القلوب، وهذا يفضي إلى اتباع الهوى.

نسأل الله أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

عقوق الوالدين (أسبابه، مظاهره، سبل العلاج)

الحلقة الثانية

إعداد/ محمد بن إبراهيم الحمد

أسباب العقوق

لعقوق الوالدين أسبابٌ كثيرة منها:

١- الجهل: فالجهل داءٌ قاتل، والجاهل عدو نفسه، فإذا جهل المرء عواقب العقوق العاجلة والآجلة، وجهل ثمرات البِّر العاجلة والآجلة، قاده ذلك إلى العقوق، وصرفه عن البر.

٢- سوء التربية: فالوالدان إذا لم يربيا أولادهما على التقوى، والبر والصلة، وطلب المعالي، فإن ذلك سيقودهم إلى التمرد والعقوق.

٣- التناقض: وذلك إذا كان الوالدان يعلِّمان الأولاد، وهما لا يعملان بما يُعَلِّمان، بل ربما يعملان نقيض ذلك؛ فهذا الأمر مدعاة للتمرد والعقوق.

٤- الصحبة السيئة للأولاد: فهي مما يفسد الأولاد، ومما يجرئهم على العقوق، كما أنها ترهق الوالدين، وتضعف أثرهم في تربية الأولاد.

٥- عقوق الوالدين لوالديهم: فهذا من جملة الأسباب الموجبة للعقوق، فإن كان الوالدان عاقين لوالديهم عوقبا بعقوق أولادهما- في الغالب- وذلك من جهتين:

أولاهما: أن الأولاد يقتدون بآبائهم في العقوق.

وأخراهما: أن الجزاء من جنس العمل.

٦- قلة تقوى الله في حالة الطلاق: فكثير من الأزواج إذا حصل بينهما طلاق لا يتقيان الله في ذلك، ولا يحصل الطلاق بينهما بإحسان، كما أمر الله.

بل تجد كلَّ واحد منهما يغري الأولاد بالآخر، فإذا ذهبوا للأم قامت بذكر مثالب والدهم، وبدأت توصيهم بصرمه وهجره، وكذا إذا ذهبوا إلى الوالد فعل كفعل الوالدة.

والنتيجة: أن الأولاد سيعقُّون الوالدين جميعًا، والوالدان هما السبب كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

فلا تغضبَنْ في سيرةٍ أنت سرتَها
وأول راضٍ سُنَّةً من يسيرُها

٧- التفرقة بين الأولاد: فهذا العمل يورث لدى الأولاد الشحناء والبغضاء، فتسود بينهم روح الكراهية، ويقودهم ذلك إلى بغض الوالدين وقطيعتهما.

٨- إيثار الراحة والدعة: فبعض الناس إذا كان لديه والدان كبيران أو مريضان، رغب في التخلص منهما، إما بإيداعهما دور العَجَزة، أو بترك المنزل والسكنى خارجه، أو غير ذلك؛ إيثارًا للراحة- كما يزعم- وما علم أن راحته إنما هي بلزوم والديه وبرِّهما.

٩- ضيق العطن[1]: فبعض الأبناء ضيِّقُ العطن؛ فلا يريد لأحد في المنزل أن يخطئ أبدًا، فإذا كُسرت زجاجة، أو أُفسد أثاث المنزل، غضب لذلك أشد الغضب، وقلب المنزل رأسًا على عقب. فهذا مما يزعج الوالدين، ويكدر صفوهما.

كذلك قد تجد بعض الأبناء يأنف من أوامر والديه، خصوصًا إذا كان الوالدان أو أحدهما فظًّا غليظًا، فتجد الولد يضيق بهما ذرعًا، ولا يتسع صدره لهما.

١٠- قلة إعانة الوالدين لأولادهما على البر: فبعض الوالدين لا يعين أولاده على البر، ولا يشجعهم على الإحسان إذا أحسنوا.

فحق الوالدين عظيم، وهو واجب بكل حال. لكنَّ الأولاد إذا لم يجدوا التشجيع، والدعاء، والإعانة من الوالدين- ربما ملُّوا، وتركوا بر الوالدين، أو قصَّروا في ذلك.

١١- سوء خلق الزوجة: فقد يبتلى الإنسان بزوجة سيئة الخلق، لا تخاف الله، ولا ترعى الحقوق، فتكون شجًا[2] في حلقه، فتجدها تغري الزوج، بأن يتمرد على والديه، أو يخرجهما من المنزل، أو يقطع إحسانه عنهما؛ ليخلو لها الجوّ بزوجها، وتستأثر به دون غيرها.

١٢- قلة الإحساس بمصاب الوالدين: فبعض الأبناء لم يجرب الأُبوَّة، وبعض البنات لم تجرب الأمومة، فتجد من هذه حاله لا يأبه بوالديه؛ سواء إذا تأخر بالليل، أو إذا ابتعد عنهما، أو أساء إليهما.

هذه بعض الأسباب التي تؤدي إلى عقوق الوالدين.

سبل العلاج

قد مرّ بنا في العدد السابق حق الوالدين، والترغيب في برهما، والترهيب من عقوقهما، ومرّ شيء من مظاهر العقوق، وصوره، وأسبابه.

وإذا كان الأمر كذلك، فما أحرى بذلك الابن أن



يحرص كل الحرص على بر والديه، وأن يتجنب عقوقهما؛ رغبة فيما عند الله من جزيل الثواب، ورهبة مما لديه من شديد العقاب، العاجل والآجل.

إذن فما بر الوالدين؟ وما الآداب التي ينبغي مراعاتها معهما؟ وما الأمور المعينة على البر؟

بر الوالدين ضد العقوق، قال ابن منظور رحمه الله: «والبر ضد العقوق، والمَبرةُ مثله، وبَرِرْت والديْ: بالكسر أبرُّه برًا، وقد برَّ والده يَبَرُّه ويَبِره برًا».

وقال: «ورجل برٌّ من قوم أبرار، وبارٌّ من قوم بررة».

وروي عن ابن عمر أنه قال: إنما سماهم الله أبرارًا لأنهم بروا الآباء والأبناء.

وقال: كما أن لك على ولدك حقًا كذلك لولدك عليك حق.

هناك آداب ينبغي لنا مراعاتها، ويجدر بنا سلوكها مع الوالدين، لعلنا نرد لهما بعض الدَّيْن، ونقوم ببعض ما أوجب الله علينا نحوهما، كي نرضي ربنا، وتنشرح صدورنا، وتطيب حياتُنا، وتيسرَّ أمورُنا، ويبارك الله في أعمارنا، ويُنسأ لنا في آثارنا.

فمن تلك الآداب ما يلي:

١- طاعتهما واجتناب معصيتهما: فيجب على المسلم طاعة والديه واجتناب معصيتهما، وأن يقدم طاعتهما على طاعة كل أحد من البشر ما لم يأمراه بمعصية الله ورسوله ﷺ، إلا الزوجة؛ فإنها تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها.

٢- الإحسان إليهما: بالقول والفعل، وفي وجوه الإحسان كافة.

٣- خفض الجناح: وذلك بالتذلل لهما، والتواضع، والتطامن.

٤- [illegible]: وذلك بلين الخطاب، والتلطف بالكلام، والحذر كل الحذر من نهرهما، ورفع الصوت عليهما.

٥- الإصغاء إليهما: وذلك بالإقبال عليهما بالوجه إذا تحدثا، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث، والحذر كل الحذر من تكذيبهما، أو ردّ حديثهما.

٦- الفرح بأوامرهما، وترك التضجر والتأفف منهما: كما قال عزَّ وجل: ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٧- التطلق لهما: وذلك بمقابلتهما بالبشر والترحاب بعيدًا عن العبوس، وتقطيب الجبين.

٨- التودد لهما، والتحبب إليهما: ومن ذلك مبادأتهما بالسلام، وتقبيل أيديهما، ورؤوسهما، والتوسيع لهما في المجلس، وألا يمدّ يده إلى الطعام قبلهما، وأن يمشي خلفهما في النهار، وأمامهما في الليل خصوصًا إذا كان الطريق مظلمًا أو وَعِرًا، أما إذا كان الطريق واضحًا سالكًا فلا بأس أن يمشي خلفهما.

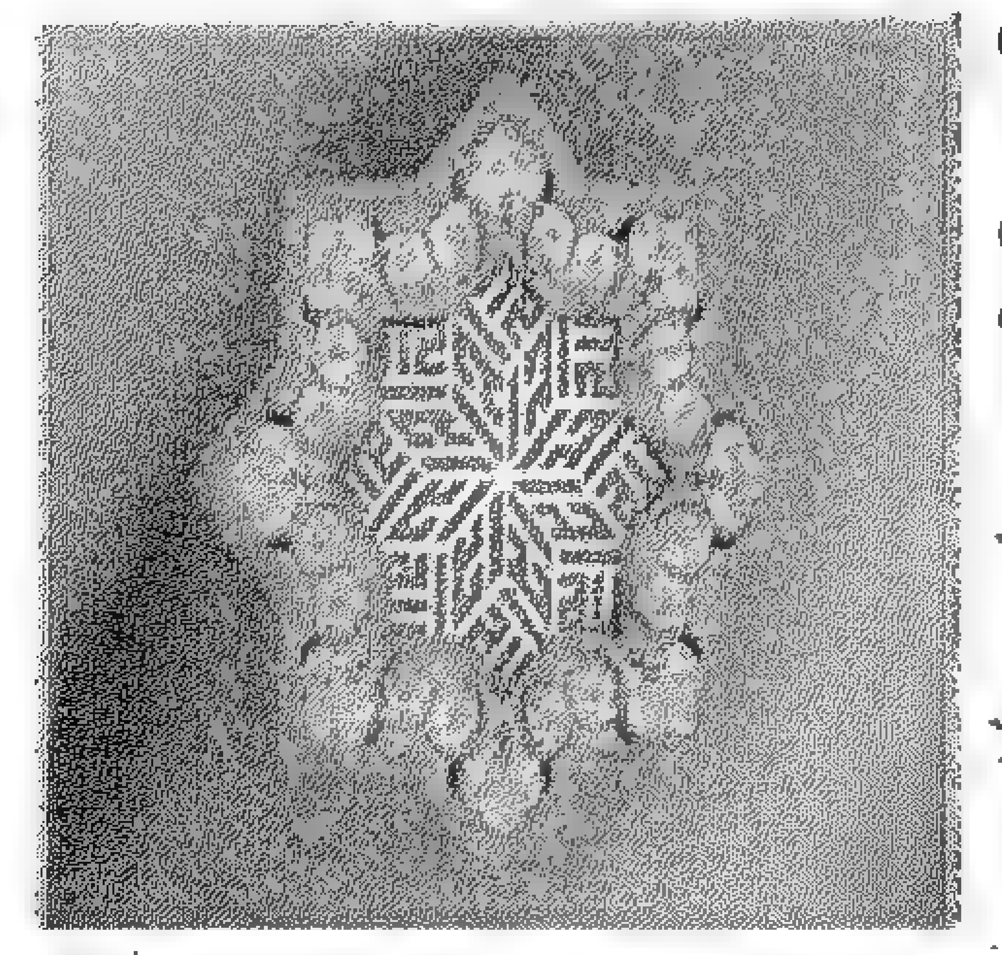
٩- الجلوس أمامهما بأدب واحترام: وذلك بتعديل الجِلْسة، والبعد عمّا يشعرهما بإهانتهما من قريب أو بعيد، كمَدِّ الرِّجْل، أو القهقهة بحضرتهما، أو الاضطجاع، أو التعرّي، أو مزاولة المنكرات أمامهما، أو غير ذلك مما ينافي كمال الأدب معهما.

١٠- تجنب المنّة في الخدمة أو العطيّة: فالمنة تهدم الصنيعة، وهي من مساوئ الأخلاق، ويزداد قبحها إذا كانت في حق الوالدين.

فعلى الولد أن يقدم لوالديه ما يستطيع، وأن يعترف بالتقصير، ويعتذر عن عدم استطاعته أن يوفي والديه حقهما.

١١- تقديم حق الأم: فمما ينبغي مراعاته أيضًا تقديم بر الأم، والعطف عليها والإحسان إليها على بر الأب والعطف عليه والإحسان إليه. وذلك لما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أولى الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أمك». قال: ثم مَن؟ قال: «أبوك». [البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)].

قال ابن بطال رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: «مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، فهذا تنفرد به الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب في التربية».



قد يقال: الأم تقدم وتفضل بالبر والإحسان والعطف؛ والأب يقدم في الطاعة؛ لأن الأب رب المنزل، وقائد السفينة.

١٢- مساعدتهما في الأعمال: فلا يليق بالولد أن يرى والديه يعملان وهو ينظر إليهما دون مساعدة لهما.

١٣- البعد عن إزعاجهما: سواء كانا

نائمين، أو إزعاجهما بالجَلَبة ورفع الصوت، أو بالأخبار المحزنة أو غير ذلك من ألوان الإزعاج.

١٤- تجنب الشجار وإثارة الجدل أمامهما: وذلك بالحرص على حل كل المشكلات مع الإخوة وأهل البيت عمومًا بعيدًا عن أعينهما.

١٥- تلبية ندائهما بسرعة: سواء كان الإنسان مشغولاً أم غير مشغول؛ فبعض الناس إذا ناداه أحد والديه وكان مشغولاً- تظاهر بأنه لم يسمع الصوت، وإن كان فارغًا أجابهما.

أصمُّ عن الأمر الذي لا أريده
وأسمع خلق الله حين أريد

فاللائق بالولد أن يجيب والديه حال سماعه النداء، إلا إذا كان في صلاة فريضة.

١٦- تعويد الأولاد البر: وذلك بأن يكون المرء قدوة لهم، وأن يسعى قدر المستطاع لتوطيد العلاقة بين أولاده وبين والديه.

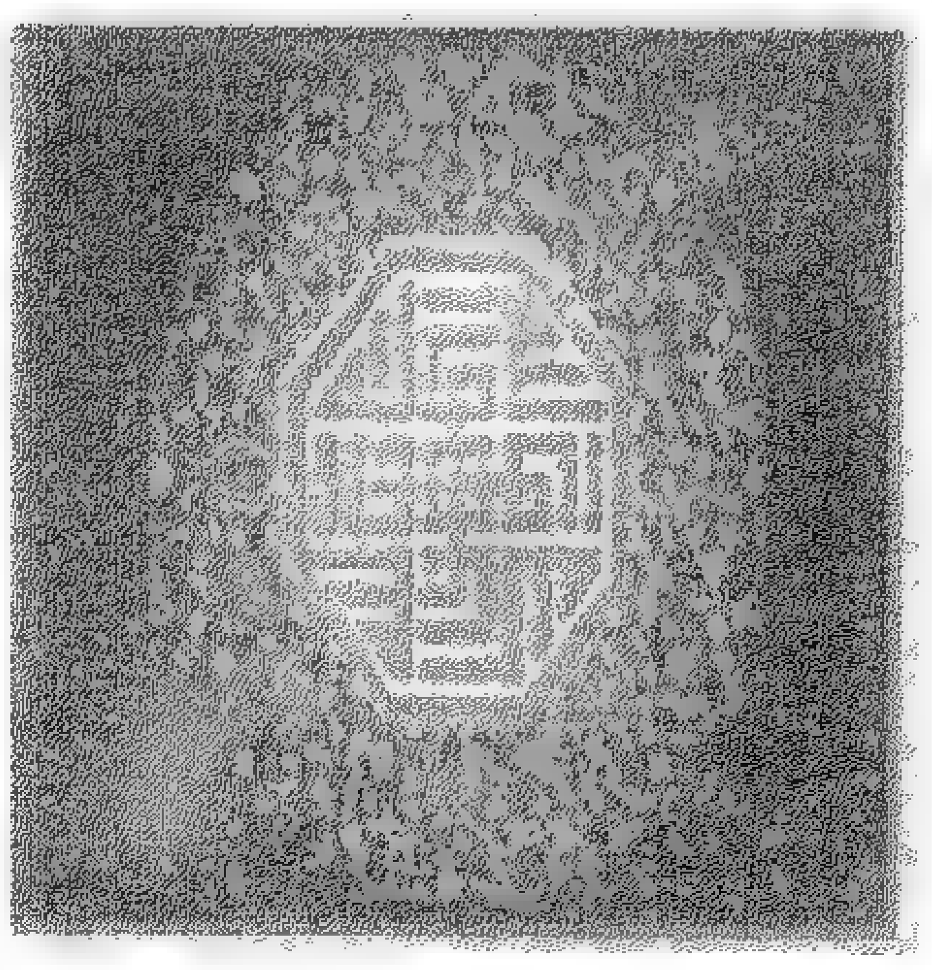
١٧- إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين: فمما يجدر بالأولاد أن يقوموا به أن يصلحوا ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، وأن يحرصوا على تقريب وجهات النظر بينهما إذا اختلفا.

١٨- الاستئذان حال الدخول عليهما: فربما كانا أو أحدهما على حالة لا يرضى أن يراه أحد وهو عليها.

١٩- تذكيرهما بالله دائمًا: وذلك بتعليمهما ما يجهلانه من أمور الدين، وأمرهما بالمعروف، ونهيهما عن المنكر إذا كان عليهما بعض مظاهر الفسق والمعصية، مع مراعاة أن يكون ذلك بمنتهى اللطف والإشفاق والشفافية، والصبر عليهما إذا لم يقبلا.

٢٠- استئذانهما والاستنارة برأيهما: سواء في الذهاب مع الأصحاب للبرية، أو في السفر خارج البلد للدراسة ونحوها، أو الذهاب للجهاد، أو الخروج من المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا وإلا أقصر وترك ما يريد، خصوصًا إذا كان رأيهما له وجه، أو كان صادرًا عن علم وإدراك.

٢١- المحافظة على سمعتهما: وذلك بمخالطة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وبمجانبة أماكن الشبه، ومواطن الرِّيَب.



٢٢- البعد عن لومهما وتقريعهما: وذلك إذا صدر منهما عمل لا يرضي الولد، كتقصيرهما في التربية، وكتذكيرهما بأمور لا يحبَّان سماعها، مما قد بدر منهما فيما مضى.

٢٣- العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به: من رعاية للإخوة، أو صلة للأرحام، أو إصلاحات في المنزل، أو المزرعة، أو مبادرة بالهدية، أو نحو ذلك مما يسرُّهما، ويدخل الفرح على قلبيهما.

٢٤- فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك: فإذا كانا، أو أحدهما غضوبًا، أو فظًا غليظًا، أو كان متصفًا بأي صفة لا ترضي- كان جديرًا بالولد أن يتفهم تلك الطبيعة في والديه، وأن يعاملهما كما ينبغي.

٢٥- كثرة الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما: قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

٢٦- برهما بعد موتهما: فمما يدل على عظم حق الوالدين، وسعة رحمة رب العالمين، أنْ كان بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد الممات؛ فقد يُقصِّر أحدٌ من الناس في حق والديه وهما على قيد الحياة، فإذا ماتا عضَّ يده، وقرع سنَّه؛ ندمًا على تفريطه وتضييعه لحقِّ الوالدين، وتمنى أن يرجعا للدنيا؛ ليعمل معهما صالحًا غير الذي كان يعمل.

ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات، فيبر والديه بعد الممات، وذلك بأمور منها:

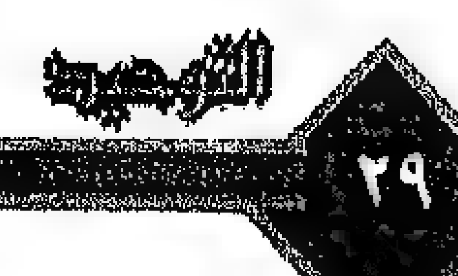
أ- أن يكون الولد صالحًا في نفسه.
ب- كثرة الدعاء والاستغفار لهما.
ج- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.
د- إنفاذ عهدهما.
هـ- التصدق عنهما.

هذه بعض الأمور التي يجدر بنا سلوكها في معاملة الوالدين.
والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) واسع العطن: أي واسع الصدر والحيلة عند الشدائد سخي كثير المال. وضده ضيق العطن.

(٢) شجا: شوكة.





الحسن البصري

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، وكانت أمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة المخزومية رضي الله عنها، واسم أمه خيرة.

مولده: ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر.

شيوخه: روى عن المغيرة بن شعبة، وعبدالرحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير، وجابر بن عبد الله، وجندب البجلي، وابن عباس، ومعقل بن يسار، وأنس بن مالك، وخلق من الصحابة، ولم يسمع من كثير منهم، بل روى عنهم رواية، فإنه مدلس.

وقرأ القرآن على حسان بن عبد الله الرقاشي، وروى عن خلق من التابعين.

الرواة عنه: روى عنه: أيوب، ويونس بن عبيد، وحميد الطويل، وثابت البناني، وجرير بن حازم، ومبارك بن فضالة، وأبان العطار، وسلام بن مسكين، وقرة بن خالد، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه :

قال العوام بن حوشب: ما أشبّه الحسن إلا بنبيّ.

قال أبو بردة: ما رأيت أحدًا أشبه بأصحاب النبي ﷺ من الحسن.

قال قتادة: الزموا هذا الشيخ؛ فما رأيت أحدًا أشبه رأيًا بعمر منه- يعني الحسن.

وقال: ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء إلا وجدت له فضلا عليه، غير أنه إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله، وما جالست فقيهًا قط إلا رأيت فضل الحسن.

عن أنس قال: سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا.

قال الأشعث بن أبي الشعثاء: ما لقيت أحدًا بعد الحسن إلا صغر في عيني.

قال أبو هلال عند قتادة: لقد كان غُمس في العلم غمسة- يعني الحسن-. فقال قتادة: بل نبت فيه وتحقبه وتشرّبه، واللهِ لا يبغضه إلا حروري.

قال حميد: ما كان أحد أكمل مروءة من الحسن.

قال علي بن زيد: سمعت من ابن المسيب وعروة والقاسم وغيرهم، ما رأيت مثل الحسن، ولو أدرك الصحابة وله مثل أسنانهم ما تقدموه.

قال عطاء: عليك بذاك- يعني الحسن- ذاك إمام ضخم يُقتدى به.

قال الربيع بن أنس: اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله، فليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك.

قال عوف الأعرابي: ما رأيت رجلا أعلم بطريق الجنة من الحسن.

قال بكر بن عبد الله المزني: من سَرَّه أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن.

قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن والحجاج.

قال ابن سعد: كان الحسن رحمه الله جامعًا عالمًا رفيعًا فقيهًا ثقة حجة مأمونًا

عابدًا ناسكًا كثير العلم، فصيحًا، جميلا، وسيمًا، وما أرسله فليس بحجة.

قال الذهبي: والحسن مع جلالته فهو مدلس[1] ومراسيله ليست بذاك، ولم يطلب الحديث في صباه، وكان كثير الجهاد.

قال: وكان سيد أهل زمانه علمًا وعملا.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: كان عامة من ذكرنا من النساك يأتون الحسن، ويسمعون كلامه، ويذعنون له بالفقه في هذه المعاني خاصة- يعني الزهد والعبادة والمراقبة- وكان عمرو بن عبيد، وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له، وكان له مجلس خاص في منزله لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن، فإن سأله إنسان غيرها تبرّم منه وقال: إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر، فأما حلقته في المسجد فكان يُمر فيها الحديث والفقه وعلم القرآن واللغة وسائر العلوم.

قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلس.

من أحواله وأقواله:

قال الأعمش: مازال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها.

وكان إذا ذُكر الحسن عند أبي جعفر الباقر قال: ذاك الذي يشبه كلامُه كلامَ الأنبياء.

قال في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]. قال: هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه.

روى عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يسند ظهره إليها، فلما كثر الناس قال: «ابنوا لي منبرًا عتبتان». فلما قام على المنبر يخطب حنّت الخشبة إلى رسول الله ﷺ. قال: وأنا في المسجد فسمعت الخشبة تحنّ حنين الواله، فمازالت تحنُّ حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت، وكان الحسن إذا حدث بهذا بكى، ثم قال: يا عباد الله، الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه، فأنتم أحق أن تشتاقوا.

قال الذهبي: هذا حديث حسن غريب.

قال مطر الوراق: لما ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما عاين.

وقال الحسن: المؤمن يداري دينه بالثياب، يعني لا يبديه رياءً، والله أعلم.

قال: يا ابن آدم، والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولنّ في الدنيا حزنك، وليشتدّن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

عن عمران القصير قال: سألت الحسن عن شيء فقلت: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا. فقال: وهل رأيت فقيهًا بعينك؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.

قال: ما أعزَّ أحدٌ الدرهمَ إلا أذله الله.

قال: بئس الرفيقان: الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتى يفارقاك.

قال: ابنَ آدم، ترك الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة. ما يُؤَمِّنُك أن تكون أصبت كبيرة أُغلق دونها باب التوبة، فأنت في غير معمل.

قال: أهينوا الدنيا فوالله لأهنا ما تكون أنت إذا أهنتها.

قال: خلق الله الشيطان وخلق الخير وخلق الشر، فقال رجل: قاتلهم الله يكذبون على هذا الشيخ.

قلت: أي فيما يتهمونه به من القدر كذبًا عليه إما عمدًا بتأويل كلامه تأويلا غير صحيح، أو جهلا به.

قيل لابن سيرين في الحسن وما كان ينحل أهل القدر؟ قال: كانوا يأتون الشيخ بكلام مجمل لو فسروه لهم لساءهم- أي أهل القدر-.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكلم في الخصوص حتى نسبته القدرية إلى الجبر (لأنه أثبت الخلق كله لله وفيه أفعال العباد).

وتكلّم في الاكتساب حتى نسبته السنّة إلى القدر (لأنه أضاف الأفعال للعباد)، كل ذلك لافتنانه وتفاوت الناس عنده وتفاوتهم في الأخذ عنه، وهو بريء من القدر ومن كل بدعة.

عن ابن عون عن الحسن قال: من كذّب بالقدر فقد كفر.

قلت: لأنه نفى جملة كبيرة من المخلوقات عن الله وأضافها لغيره سبحانه لأن معظم أهل الأرض في ضلال ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فأكثر أفعال العباد في الضلال والشر، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

قال أبو الأشهب: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

قال حميد: قرأت القرآن كله على الحسن ففسره لي أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ قال: الشرك سلكه الله في قلوبهم. اهـ.

قلت: هذا إثبات لخلق الله عز وجل لكل شيء، حتى الشرك.

قال خالد الحذاء: سأل رجل الحسن، فقال: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، قال: أهل رحمته لا يختلفون، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ خلق هؤلاء لجنته وهؤلاء لناره، فقلت: يا أبا سعيد، آدم خلق للسماء أم للأرض؟ قال: للأرض خلق، قلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن بُدٌّ من أن يأكل منها لأنه خلق للأرض، فقلت: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣] قال: نعم الشياطين لا يُضلون إلا من أحب الله له أن يصلى الجحيم. اهـ.

قلت: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، فالله هو الذي يُرسل الشياطين لإضلال من أراد به العذاب، والعياذ بالله من الضلال.

قال الذهبي: وقد مرّ إثبات الحسن للأقدار من غير وجه عنه سوى حكاية أيوب عنه، فلعلها هفوة منه ورجع عنها ولله الحمد.

قال الحسن: كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وزهده ولسانه وبصره.

قال: اصحب الناس بما شئت أن تصحبهم فإنهم سيصحبونك بمثله.

قال: ابن آدم، السكين تُحدّ والكبش يُعلف والتنور يُسجّر.

قال: نضحك ولا ندري لعل الله اطلع على بعض أعمالنا.

قال: فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحًا.

قال: ابن آدم، إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

قال هشام بن حسان: كان الحسن أشجع أهل زمانه.

قال السري بن يحيى: كان الحسن يصوم البيض، وأشهر الحرم، والاثنين والخميس.

عن مطر قال: دخلنا على الحسن نعوده، فما كان في البيت شيء لا فراش ولا بساط ولا وسادة ولا حصير إلا سريرٌ مرمول هو عليه.

قال إياس بن أبي تميمة: شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي على بغلة، والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفَنا الناسُ يقولون: خير الناس وشر الناس، قال: يا أبا فراس كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني، وكم من شيخ مشرك أنت خير منه، ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، قال: إن معها شروطًا، فإياك وقذف المحصنة، قال: هل من توبة؟ قال: نعم.

قال فضيل بن جعفر: خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقرّاء على الباب، فقال: ما يحبسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرّقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم، وشمّرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد.

قال الحسن: المؤمن من علم أن ما قال الله كما قال، والمؤمن أحسن الناس عملا وأشد الناس وجلا، فلو أنفق جبلا من مال ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحًا وبرًا إلا ازداد فَرَقًا، والمنافق يقول: سواد الناس كثير وسيُغفر لي، ولا بأس عليّ فيُسيء العمل ويتمنى على الله.

قلت: رحم الله الحسن، فقد كان- كما تقدم- يشبه كلامُه كلام الأنبياء.

وفاته: توفي الحسن رحمه الله في رجب سنة عشر ومائة. رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.

المراجع:

«سير أعلام النبلاء». «الحلية».

«التهذيب». «تقريب التهذيب».

نظرات على فهم النص

الحلقة السادسة

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فنستأنف ما ذكرناه في الحلقة السابقة من رفض العقلانيين لأحاديث صحيحة عندما عرضوها على عقولهم، فذكرنا حديث إرسال ملك الموت إلى موسى عليه السلام، ورأينا كيف وجه أهل العلم هذا الحديث.

ومن الأحاديث التي رفضوها بعقولهم أيضًا، حديث سحر النبي ﷺ، وقالوا: كيف يسحر رسول الله ﷺ وهو المعصوم.

وقد رد عليهم أهل العلم، ومن أمثلة من رد عليهم الإمام مسلم بن قتيبة في كتابه «تأويل مختلف الحديث».

وكذلك حديث رهن درع النبي ﷺ عند يهودي وهو في الصحيحين وغيرهما، فقد رفضه هؤلاء أيضًا بعد عرضه على عقولهم وقالوا بعدم صحته؛ إذ كيف يرهن النبي ﷺ درعه عند يهودي ويترك الصحابة وفيهم الأغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما، وقالوا هذا كذب (يعني الحديث) أراد قائله مدح النبي ﷺ بالفقر.

وقد رد عليهم العلماء مبينين خطأهم في الفهم والتصور، وأسوق - ملخصًا - جملة من ردودهم لأهميتها.

فالإمام البخاري أخرج الحديث في مواضع عدة من صحيحه مستنبطًا منه - كعادته - فوائد فقهية كثيرة، من هذه الفوائد:

١ - شراء النبي ﷺ بالنسيئة (الأجل).

٢ - شراء الإمام الحوائج بنفسه.

٣ - جواز الرهن في السلم [وفي ذلك الرد على من قال أن الرهن في السلم لا يجوز].

٤ - جواز الشراء بالدين وليس عنده ثمنه [وفي ذلك إشارة للرد على ما ورد عن ابن عباس مرفوعًا - وهو ضعيف -: لا أشتري ما ليس عندي ثمنه].

٥ - جواز الرهن في الحضر، وأن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة:٢٨٣].

وأن التقييد بالسفر في الآية خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له لدلالة الحديث على مشروعية الرهن في الحضر، وهو قول الجمهور، وقد قيده بالسفر لأنه مظنة فقد الكاتب.

إلى جانب ما استخرجه الحافظ ابن حجر من فوائد نفيسة، منها:

جواز معاملة الكفار فيما لم يتحقق تحريم عين التعامل فيه، وعدم الاعتبار بفساد معتقدهم ومعاملاتهم فيما بينهم، واستنبط منه جواز معاملة من أكثر ماله حرام، وجواز بيع السلاح ورهنه وإجارته وغير ذلك من الكافر ما لم يكن حربيًا.

وفيه ثبوت أملاك أهل الذمة في أيديهم، وجواز الشراء بالثمن المؤجل، واتخاذ الدروع والعدد وغيرها من آلات الحرب وأنه غير قادح في التوكل. إضافة إلى ما كان

عليه النبي ﷺ من التواضع والزهد في الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها، والكرم الذي أفضى به إلي عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه، والصبر على ضيق العيش، والقناعة باليسير، وفضيلة أمهات المؤمنين لصبرهن معه على ذلك.

ثم قال الحافظ ابن حجر، إنَّ الحكمة في عدوله ﷺ عن مياسير الصحابة إلى معاملة اليهودي؛ إما لبيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة غيرهم، أو أنه خشى أنهم لا يأخذون منه ثمنًا أو عوضًا فلم يرد التضييق عليهم فإنه لا يبعد أن يكون فيهم إذ ذاك من يقدر على ذلك وأكثر منه فلعله لم يطلعهم على ذلك. اهـ

[بتصرف من فتح الباري]

وذكر الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم فوائد عدة أيضًا، وذكر أن النبي ﷺ إنما فعل ذلك (رهن الدرع عند يهودي)؛ لأن الصحابة لا يأخذون رهنه ﷺ ولا يقبضون منه الثمن فعدل إلى معاملة اليهودي لئلا يضيِّق على أحد من أصحابه، قال: وقد أجمع المسلمون على جواز معاملة أهل الذمة وغيرهم من الكفار.

[بتصرف من شرح النووي لمسلم]

وقال ابن قتيبة في «تاويل مختلف الحديث» ذاكرًا أقوال المعترضين على صحة الحديث:

كيف يلجا النبي ﷺ إلى اليهودي أما كان في المسلمين مُواسٍ، ولا مُؤْثِر، ولا مُقْرِض، وقد أكثر الله عز وجل الخير، وفتح عليهم البلاد. وهذا كذب أراد قائله مدح النبي ﷺ بالزهد والفقر وليس هكذا تمدح الأنبياء، وكيف يجوع من يجهِّز الجيوش، ومن يسوق المئين من البدن، وله مما أفاء الله عليه مثل فدك وغيرها؟!!

ورد ابن قتيبة فقال: ونحن نقول: إنه ليس في هذا ما يستعظم، بل ما ينكر، لأن النبي ﷺ كان يؤثر على نفسه بأمواله، ويفرقها على المحتاجين والفقراء والمساكين، وفي النوائب التي تنوب المسلمين، ولا يرد سائلا، ولا يعطي إذا وجد إلا كثيرًا، ولا يضع درهمًا فوق درهم.

وقالت له أم سلمة: يا رسول الله ﷺ أراك ساهم الوجه، أمِن علة؟ فقال لا، ولكنها السبعة الدنانير التي أتينا بها أمس نسيتها في خُصْم (جانب) الفراش فبتُّ ولم أقسمها.

[مسند احمد]

وقد يأتي على البخيل الموسر تارات، لا يحضره فيها مال وله الضيعة والأثاث والديون فيحتاج إلى أن يقترض وإلى أن يرهن، فكيف بمن لا يبقى له درهم، ولا يفضل عن مواساته ونوائبه زاد.

وكيف يعلم المسلمون، وأهل اليسار من صحابته بحاجته إلى الطعام وهو لا يعلمهم ولا ينشط في وقته ذلك إليهم، وقد نجد هذا بعينه في أنفسنا وأشباهنا من الناس، وترى الرجل يحتاج الشيء فلا ينشط فيه إلى ولده ولا إلى أهله ولا إلى جاره حتى يبيع العِلْقَ (النفيس) ويستقرض من الغريب والبعيد.

وإنما رهن درعه عند يهودي لأن اليهود في عصره ﷺ كانوا يبيعون الطعام ويحتكرونه.

[بتصرف من تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة]

ومن أسباب الاختلاف في فهم النص:

٦. الحقيقة والمجاز:

الكلام في الأصل يحمل على الحقيقة لا على المجاز (والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير موضوعه على وجه يصح، كاستعمال لفظ أسد في الرجل الشجاع). إلا في حالة تعذر حمل اللفظ على حقيقته ووجود القرينة التي تصرفه من الحقيقة إلى المجاز فإذا قلنا «أسد» هكذا مطلقًا فإن اللفظ ينصرف إلى الحيوان المعروف، لكن إذا جاءت قرينة كأن يشبِّه الرجل بالأسد، فإن كلمة الأسد هنا تنتقل من الحقيقة إلى المجاز فتكون بمعنى الشجاعة.

[معالم أصول الفقه للجيزاني]

- فالحقيقة هي: اللفظ المستعمل في ما وضع له، والمجاز هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لقرينة.

ولكن هل يقع المجاز في القرآن؟

كثير من أهل السنة قالوا بعدم وقوع المجاز في القرآن كابن تيمية وابن القيم وغيرهما، بل قد سمي ابن القيم المجاز «طاغوتًا».

وذلك لأن الذين أوَّلوا صفات الله تعالى دخلوا إلى التأويل من باب المجاز، وقالوا إن أول من تكلم في الحقيقة والمجاز هم المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

وقالوا (الذين يقولون بعدم وقوع المجاز في القرآن): إن اللفظ إذا دلَّ بنفسه فهو حقيقة لذلك المعنى، وإن دل بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة للمعنى الآخر، فهو حقيقة في الحالين.

مثل كلمة «الرأس» فهي حقيقة تدل على رأس الإنسان، ولكن إذا أضيف إليها كلمة أخرى مثل «رأس الدَّرب» فهي انتقلت إلى حقيقة أخرى وهي أول الدرب وهكذا.

والفريق الآخر الذين قالوا بوقوع المجاز في القرآن فصَّلوا في الأمر، وقالوا: إن المجاز يدخل في آيات القرآن عدا آيات الصفات فإنه لا يدخلها المجاز.

فكأن السلف اتفقوا جميعًا على أن آيات الصفات تحمل على حقيقتها وامتنع حملها على المجاز.

قال الخطيب البغدادي:

لأن المجاز لغة العرب وعادتها، فإنها تسمي باسم الشيء إذا كان مجاورًا له أو كان منه بسبب، وتحذف جزءًا من الكلام طلبًا للاختصار إذا كان فيما أبقي دليل على ما ألقي، وتحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتعربه بإعرابه، وغير ذلك من أنواع المجاز، وإنما نزل القرآن بألفاظها ومذاهبها ولغاتها، وقد قال الله تعالى: ﴿ ..جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ.. ﴾ [الكهف:٧٧]. ونحن نعلم ضرورة أن الجدار لا إرادة له.

[الفقيه والمتفقه نقلا عن معالم أصول الفقه للجيزاني]

فنستطيع على ضوء ما سبق أن نقسم آيات القرآن إلى قسمين:

القسم الأول

آيات الصفات اتفق أهل السنة على أنه لا يدخلها المجاز.

القسم الثاني

الآيات الأخرى عدا آيات الصفات:

- فريق يرى عدم دخول المجاز على آيات القرآن بالكلية.
- وفريق يرى دخول المجاز على هذه الآيات مثل:
  ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء:٢٤].
  ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢].
  ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ [النساء:٤٣].
  فكل هذا مجاز لأنه استعمال اللفظ في غير موضوعه.

- وقد اعترض شيخ الإسلام ابن تيمية على تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز. قائلا: إن هذا التقسيم يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه وقد يستعمل في غير موضوعه، وهذا كله إنما يصح لو ثبت أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال.

إلى أن قال: إنه لا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع.

إنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني.

[الفتاوى ج٧]

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

واحة التوحيد..

من نور كتاب الله

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦]

من هدي رسول الله ﷺ

عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». [الترمذي - ٣٧٩٢]

من أقوال السلف

قال الفضيل بن عياض: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين» [الاعتصام: ٨٣/١]

عن الحسن قال: يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس.

[أصول الاعتقاد ٥٧/٢]

قال الأوزاعي: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين ولا يبالي أيهما أصاب: الغلو أو التقصير.

[نضرة النعيم ١٣٦٤/٤]

من نصائح السلف

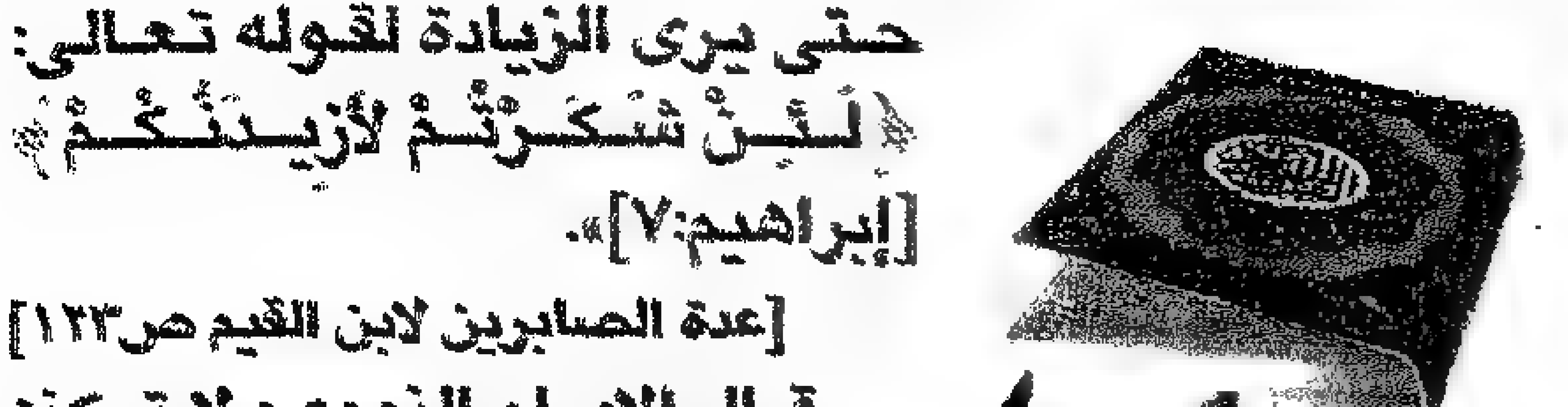
قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء».

[مدارج السالكين ٩١/٢]

حكم ومواعظ

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «من عرف نعم الله بقلبه، وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]».

[عدة الصابرين لابن القيم ص١٢٣]



قال الإمام النووي: لا تركنن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه. [فتح الباري ٢٣٨/١١]

من سير السلف

عن ابن عيينة قال: بكى ربيعة بن أبي عبد الرحمن يومًا فقيل: ما يبكيك؟ قال رياء جاهز، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم، إن أمروهم ائتمروا وإن نهوهم انتهوا. [نزهة الفضلاء ٤٤٦/١]

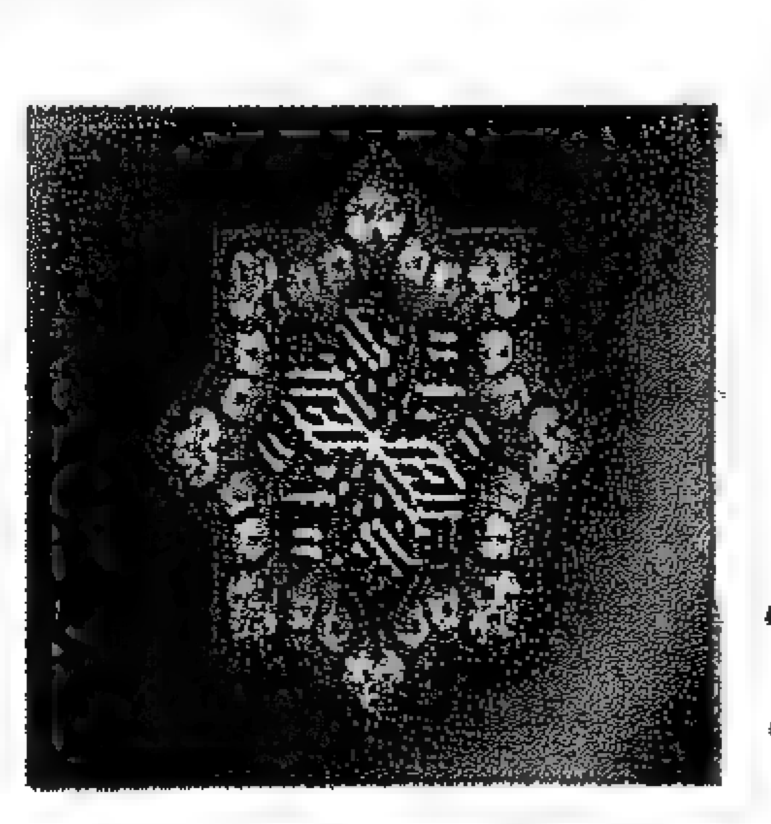
كن على الدرب

قال الأوزاعي - رحمه الله تعالى -: «كان يقال: خمسٌ كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله».

[أصول الاعتقاد ٦٤/١]

من درر العلماء في آيات الصفات

قال العلامة ابن بطة: «أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه، فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية؛ وهم قوم زاغت قلوبهم،



واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين».

[الإبانة في الرد على الجهمية ٣/١٣٦]



دعوة الرسل

الأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم، وأكبر هدفهم في كل زمان وفي كل بيئة هو تصحيح العقيدة في الله تعالى، وتصحيح الصلة بين العبد وربه، والدعوة إلى إخلاص الدين لله، وإفراد العبادة لله وحده، وأنه النافع والضار، والمستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك والذبح - وحده، وكانت حملتهم مركزة وموجّهة على الوثنية في عصورهم، المتمثلة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام والصالحين المقدسين من الأحياء والأموات.

[كتاب النبوة للنووي]

من البدع المحدثة في المساجد

قراءة القرآن قبل صلاة الجمعة في مكبرات الصوت، أو جلوس قارئ يقرأ القرآن وهو ما يعرف بقرآن الجمعة؛ فهذه بدعة، والصحيح: أن الكل ينشغل بالنوافل من الصلاة أو الأذكار أو تلاوة القرآن منفردا حتى يصعد الإمام المنبر.

مخالفات تقع فيها النساء

الذهاب إلى السحرة والمشعوذين والكهنة، لمرض أو عين أو فك سحر أو عمل.

والرسول ﷺ حذر من إتيانهم فقال: «من أتى عرّافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا» بل إن تصديقهم كفر، كما قال ﷺ: «من أتى كاهنا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد».

تناقضات في حياتنا

أن تكون الفضيلة غريبة ومستغربة، والرذيلة أو دواعيها مألوفة! بل يقال حريّات شخصية. فرجل يستمسك بدينه أو امرأة تتمسك بدينها هذا تعقيد وتزمت! وربما تخلف ورجعية!!

وامرأة تحررية أو قل: تحلليه أو رجل يتزندق هذه حريات شخصية!!

وصايا إلى طلاب العلم

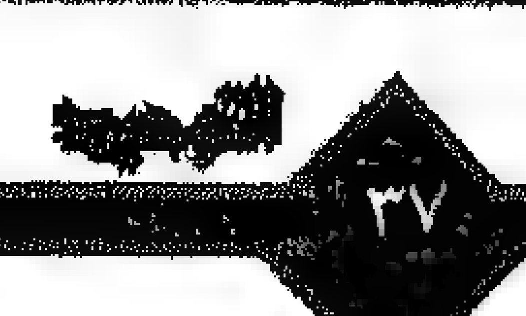
دعوة التوحيد

كن من الذين ينتصرون منهج السلف ودعوتهم وتعلمهم، ومن علامات المنهج السلفي في الدعوة: التركيز على دعوة التوحيد، والتحذير من الشرك. فهذه هي الغاية الكبرى، ولا تلتفت لمن يقول: إن هذه الدعوة- أي دعوة التوحيد- تفرق الصفوف، أو إنها تحدث بلبلة فكرية، أو انشغال بالقشور وترك اللباب، أو توجيه جهود الشباب إلى غير المعركة الحقيقية!! فهذا كله كلام من لا يفقهون واقعهم ودعوة نبيهم، فالخير كل الخير في اتباع من سلف.

من شعر الحكماء

قال بشر بن المعمر في رياسة الجهلاء:

إن كنت تعلم ما أقول
وما تقول فأنت عالم
أو كنت تجهل ذا وذاك
فكن لأهل العلم لازم
أهل الرياسة من ينازعهم
رياستهم فظالم
لا تطلبن رياسة بالجهل
أنت لها مخاصم
لولا مقامهمُ رأيتَ
الدين مضطربَ الدعائم





«أنواعه - أقسامه - خطورته»

إعداد: أسامة سليمان

ظهر الشرك في البشرية في قوم نوح عليه السلام، وذلك بتعظيم رجال من الصالحين كانوا فيهم، فلما هلكوا أوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنوسي العلم عُبدت. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

ولقد انتشرت عبادة الأصنام عند العرب، واتخذت كل دار منهم صنمًا من دون الله، وكان أول من أدخل تلك الأصنام إليهم عمرو بن لحي الخزاعي.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه- أي أمعاءه- في النار، وكان أول من سيب السوائب، وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام». [أخرجه البخاري (٤٦٢٣)].

ومن صنيعهم في ذلك الباب:

أن الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر في أحسنها، فاتخذه ربًا، وجعل الثلاثة الباقية تحت قِدره، وإذا ارتحل ترك الحجر الذي كان يعبده، حتى إذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ما فعل من قبل ذلك، وكانوا يتمسحون بالأصنام التي يعبدونها في سفرهم، فهي أول عهدهم وآخر عهدهم.

فضلاً عن ذلك، فقد اتخذوا مع الكعبة بيوتًا، يعظمونها كتعظيم الكعبة، وهذه البيوت لها سَدَنَة وحُجَّاب، ويُذبح لها ويطاف بها، ويُهدى إليها، ففي «صحيح البخاري» عن أبي رجاء العطاردي: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليها، ثم طفنا به. [أخرجه البخاري في كتاب المغازي].

وهذا بلا شك من تلاعب الشيطان بالمشركين، فتارة يدعوهم إلى تعظيم الموتى، وأخرى يدعوهم إلى عبادة الشمس والقمر، فلما بُعث النبي ﷺ ودعاهم إلى توحيد الله وعدم الإشراك به قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فالشرك إذن هو: أن يتخذ العبد إلهًا مع الله، يصرف له نوعًا من العبادة، أي يجعل له شريكًا في ربوبيته وألوهيته، يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالمشركون لم يساووا أندادهم بالله في الخلق والتدبير والإحياء والإماتة، ولكن ساووا بينهما في الحب والخشية، والدعاء والخوف والرجاء، فهم لم يفردوه سبحانه بالعبادة، ولم يعبدوا الأصنام، ولكنهم زعموا أن أصنامهم تقربهم إلى الله عز وجل، يقول سبحانه عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]. فضلاً عن أنهم كانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا أنجاهم سبحانه إلى البر إذا هم يشركون، فهم يشركون في الرخاء دون الشدة.

ينقسم الشرك إلى قسمين:

١- شرك أكبر: يُخرج من الملة.

٢- شرك أصغر: لا يُخرج من الملة.

القسم الأول: الشرك الأكبر:

يُخلّد صاحبه في نار جهنم، ويُحبط عمله، ويُباح دمه، ولا يغفر الله لصاحبه إن مات على ذلك، والجنة حرام عليه، وهو بذلك أكبر الكبائر، وأعظم الظلم.

وفي ذلك جاءت نصوص في القرآن: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وينقسم هذا النوع من الشرك إلى أربعة أقسام:

١- شرك الدعاء: قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

٢- شرك النية والقصد والإرادة: يقول سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

٣- شرك الطاعة: يقول سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. فمن أطاع من حرّم ما أحلّ الله وأحلّ ما حرّم الله فشركه شرك الطاعة.

٤- شرك المحبة: يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

القسم الثاني: الشرك الأصغر:

وهو الشرك الذي لا يُخرج صاحبه من الملة، ولكنه يُنقص التوحيد، وهو ينقسم إلى قسمين:

١- شرك ظاهر، سواء كان أقوالاً أو أفعالاً:

فالأقوال: كالحلف بغير الله، وقول المرء: ما شاء الله وشئت، وكذا قوله: توكلت على الله وعليك.

ففي الحديث أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي ﷺ: «أجعلتني ندًا لله، قل: ما شاء الله وحده».

أما الأفعال: فكلبس الحلق والخيط لرفع البلاء، وتعليق التمائم خوفًا من العين، وهذه إن اعتقد أنها أسباب لرفع البلاء فهذا شرك أصغر، أما إذا اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر.

٢- شرك خفي:

وهو يدخل في الباعث والإرادة والقصد، كالرياء والسمعة؛ كأن يعمل عملاً ما يتقرب به إلى الله ويريد ثناء الناس عليه، وكأن يُحسن صلاته لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه.

والرياء إذا خالط العمل أبطله، يقول سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

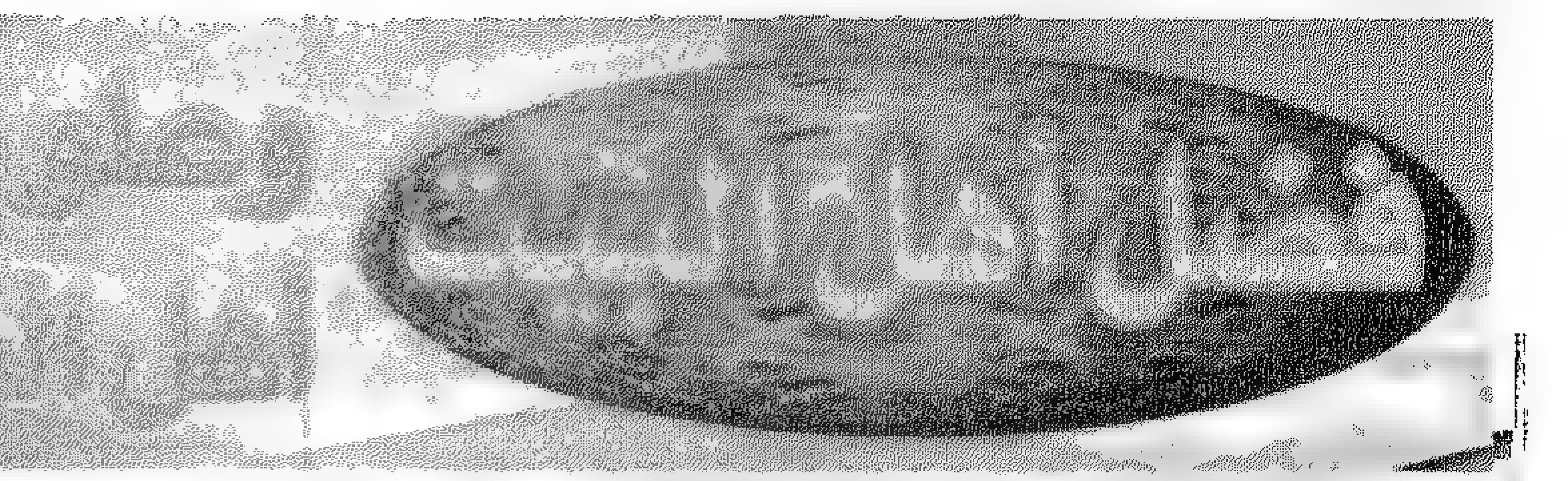
وقال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء».

ومن الرياء: العمل لأجل الطمع الدنيوي؛ كمن يعمل الطاعات لأجل الكسب المادي لا لأجل الله، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن مُنع سخط».

وهذا النوع قلَّ من ينجو منه، ولذلك قالوا: الإخلاص طريق الخلاص.

نسأل الله سبحانه وتعالى الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ به سبحانه من أن نشرك به شيئًا نعلمه، أو نشرك به شيئًا لا نعلمه.

والله من وراء القصد.



إعداد الشيخ: **عبد المحسن بن حمد العباد البدر**
الأستاذ بالجامعة الإسلامية سابقًا والمدرس بالمسجد النبوي

مقارنة بين عقيدة أهل السنة وعقيدة غيرهم في أهل البيت

تبيَّن مما تقدَّم- في المقالات السابقة- أن عقيدة أهل السنة والجماعة في آل بيت النبي ﷺ وسطٌ بين الإفراط والتفريط، والغلوِّ والجفاء، وأنهم يحبونهم جميعًا، ويتولونهم، ولا يجفون أحدًا منهم، ولا يغلون في أحد، كما أنهم يحبون الصحابة جميعًا ويتولونهم، فيجمعون بين محبة الصحابة والقرابة، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء، الذين يغلون في بعض أهل البيت، ويجفون الكثير منهم ومن الصحابة رضي الله عنهم.

ومن أمثلة غلوهم في الأئمة الاثني عشر من أهل البيت وهم: عليٌّ والحسن والحسين رضي الله عنهم، وتسعة من أولاد الحسين ما اشتمل عليه كتاب الأصول من الكافي للكُليني من أبواب منها:

□ باب: أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله عزَّ وجل في أرضه، وأبوابه التي منها يُؤتى (١/١٩٣).

□ باب: أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها عزَّ وجلَّ في كتابه (١/٢٠٦):

وفي هذا الباب ثلاثة أحاديث من أحاديثهم تشتمل على تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، بأنَّ النجم: رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن العلامات: الأئمة.

□ باب: أنَّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزَّ وجلَّ (١/١٩٤).

ويشتمل على أحاديث من أحاديثهم، منها حديث ينتهي إلى أبي عبد الله (وهو جعفر الصادق) في تفسير قول الله عزَّ وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥] قال- كما زعموا-: ﴿«مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾: فاطمة عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ :الحسين، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: الحسن، ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: فاطمة كوكب دُريٌّ بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾: إبراهيم عليه السلام، ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا يهودية ولا نصرانية: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: يكاد العلم ينفجر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: إمام منها بعد إمام، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: يهدي الله للأئمة مَن يشاء...».

□ باب: أن الآيات التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابه هم الأئمة (١/٢٠٧).

وفي هذا الباب تفسير قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] بأنَّ الآيات: الأئمة!!

وفيه تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ [القمر: ٤٢] بأنَّ الآيات: الأوصياء كلُّهم!!!

ومعنى ذلك أنَّ العقاب الذي حلَّ بآل فرعون سببُه تكذيبهم بالأوصياء الذين هم الأئمة!!

□ باب: أنَّ أهلَ الذِّكر الذين أمر الله الخلقَ بسؤالِهم هم الأئمة عليهم السلام (١/٢١٠).

□ باب: أنَّ القرآن يهدي للإمام (١/٢١٦).

وفي هذا الباب تفسير قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] بأنَّه يهدي إلى الإمام!

وفيه تفسيرُ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣] بأنَّه إنما عنى بذلك الأئمة عليهم السلام، بهم عقد الله عزَّ وجلَّ إيمانكم!!

□ باب: أنَّ النِّعمة التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابه الأئمة عليهم السلام (١/٢١٧).

وفيه تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] بالزعم بأنّ عليًا رضي الله عنه قال: «نحن النّعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز مَن فاز يوم القيامة»!!

وفيه تفسير قول الله عزّ وجلّ في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن]، قال: «أبالنّبيِّ أم بالوصيِّ تكذّبان»؟!

☐ باب: عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام (٢١٩/١).

☐ باب: أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها (٢٢٧/١).

☐ باب: أنه لم يجمع القرآن كلّه إلاّ الأئمة عليهم السلام، وأنهم يعلمون علمه كله (٢٢٨/١).

☐ باب: أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميعَ العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرُّسل عليهم السلام (٢٥٥/١).

☐ باب: أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارٍ منهم. (٢٥٨/١).

☐ باب: أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علمَ ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيءٌ صلوات الله عليهم (٢٦٠/١).

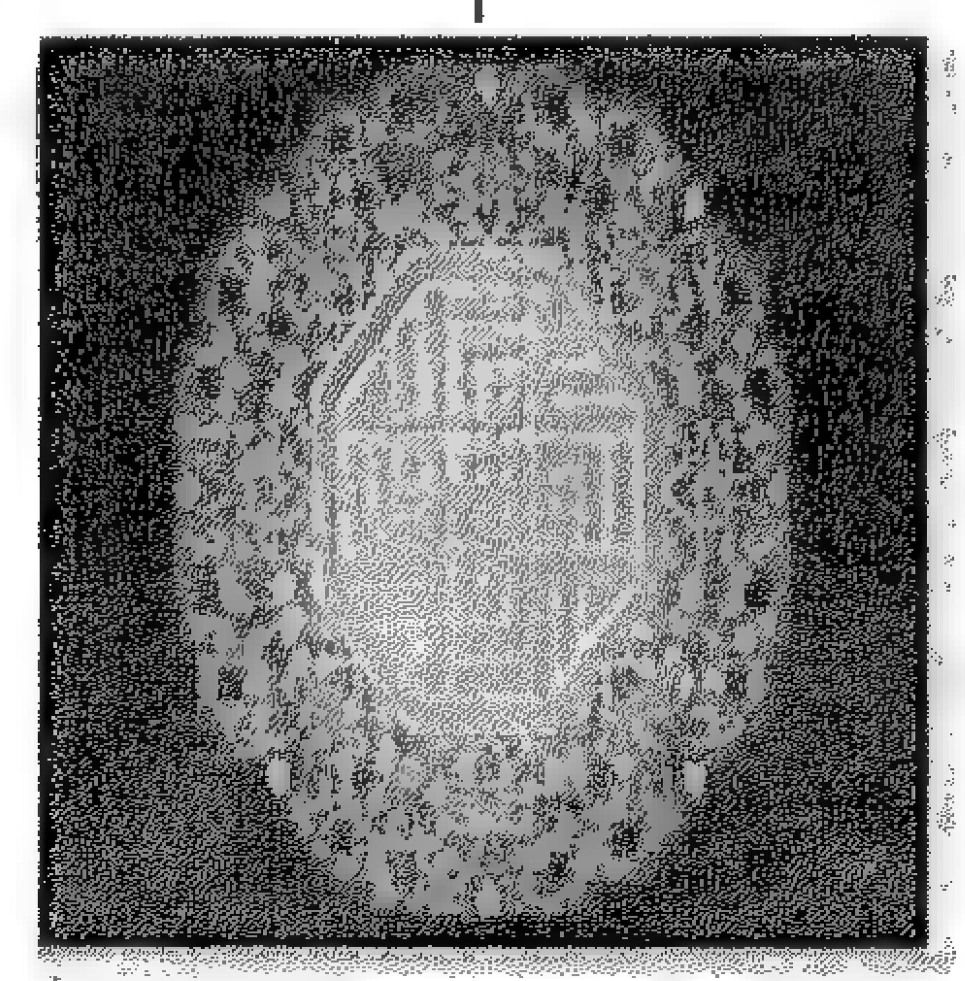
☐ باب: أنّ الله عزّ وجلّ لم يُعلِّم نبيّه علمًا إلا أمره أن يُعلِّمه أمير المؤمنين عليًا عليه السلام، وأنه كان شريكه في العلم (٢٦٣/١).

☐ باب: أنه ليس شيء من الحقّ في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطلٌ (٣٩٩/١).

وهذه الأبواب تشتمل على أحاديث من أحاديثهم، وهي منقولةٌ من طبعة الكتاب، نشر مكتبة الصدوق بطهران، سنة (١٣٨١هـ).

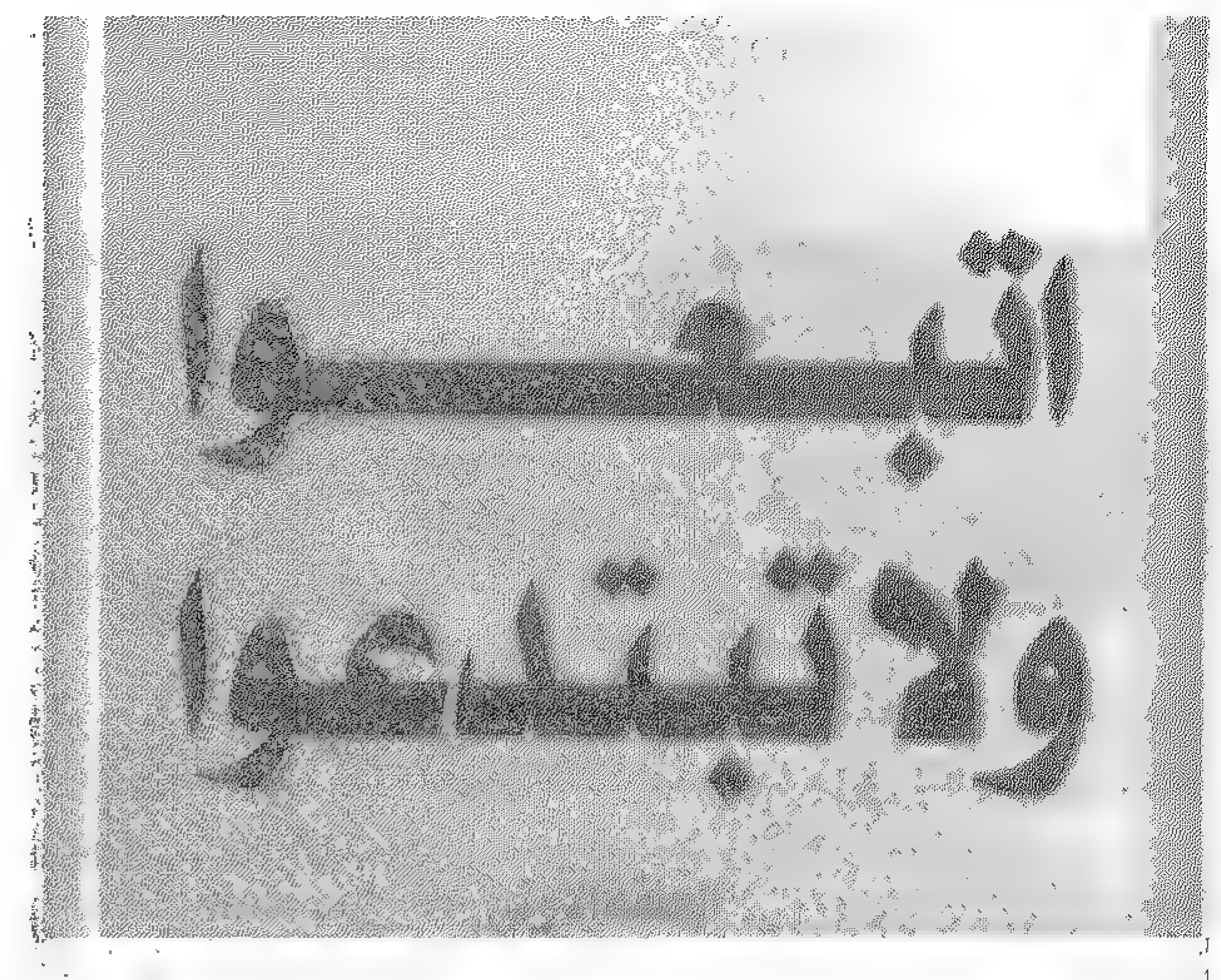
ويُعتبر الكتابُ من أجلّ كتبهم إن لم يكن أجلّها، وفي مقدّمة الكتاب ثناءٌ عظيمٌ على الكتاب وعلى مؤلفه، وكانت وفاتُه سنة (٣٢٩هـ)، وهذا الذي نقلتُه منه نماذج من غلوِّ المتقدّمين في الأئمة، أما غلوُّ المتأخرين فيهم، فيتضح من قول أحد كُبرائهم المعاصرين الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٥٢) من منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى- طهران-: «وثبوتُ الولاية والحاكمية للإمام (ع) لا تَعني تجردَه عن منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإنّ للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميعُ ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أنّ لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإنّ الرسول الأعظم ﷺ والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة الزُّلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل كما ورد في روايات المعراج: لو دنوتُ أنملة لاحترقتُ، وقد ورد عنهم عليهم السلام: إنّ لنا مع اللهِ حالاتٍ لا يسعها ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسل»!

ولا يَملكُ المرءُ وهو يرى أو يسمعُ مثل هذا الكلام إلاّ أن يقول: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].



وكلُّ من له أدنى بصيرة يجزم بأنّ ما تقدّم نقله عنهم وما يشبهه كذبٌ وافتراءٌ على الأئمة، وأنهم بُرءاء من الغلاة فيهم ومن غلوهم.

والله تعالى أعلم.



بقلم: معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي جعل اتباع رسوله على محبته دليلاً، والصلاة والسلام على أكمل الناس هديًا وأقومهم قيلاً... وبعد:

فإن متابعة النبي ﷺ هي مقتضى الشهادة بأن محمدًا ﷺ رسول الله ولازم من لوازمها، إذ معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقًا: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وعبادة الله بما شرع.

وهذا تمام المحبة وغاية التوقير، ولذا اشتد النكيرمن الله تعالى على من سلكوا في العبادة سبيلاً لم يشرعها، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ». [رواه مسلم]. أي: مردود عليه.

الاتباع دليل المحبة وثمرتها

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: «ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ». وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين»: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية.

معنى الاتباع

الاتباع هو الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال والتروك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلاَّ اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ.

والتأسي بالنبي ﷺ هو: أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من مُحَرَّمٍ أو مكروه؛ كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين.

فإذا قال الرسول ﷺ قولاً قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصًا به، وإذا عظَّم شيئًا عظمناه، وإذا حقَّر شيئًا حقرناه، وإذا رضي لنا أمرًا رضينا به، وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه.

وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ هو تجريد متابعته والتلقي عنه وحده، فكما أن الرب سبحانه واحد فالرسول الذي أمرنا باتباعه واحد، فهما توحيدان: توحيد المرسِل وهو الله سبحانه وتعالى، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ.

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وبدون هذا لا يصير المسلم مسلمًا، ذلك هو الاقتداء بالرسول ﷺ، وهو المعيار الذي ينبغي أن توزن به أفعال الناس وأقوالهم وعقائدهم وسائر أمورهم، وطريق التأسي به مبني على العلم بهديه ﷺ في كافة أمور الدين والعمل به.

وقد وعت دواوين السنة وكتب السير والشمائل كافة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وسجاياه وأخلاقه وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد وحفظت ذلك أتم حفظ». [محبة الرسول ١٢٤/١].

ضوابط مهمة في اتباع النبي الأمي ﷺ

أولاً: إن مبنى دين الإسلام على الوحي والنقل الصحيح لا العقل والاستنباط، فما جاءنا من أمر ونهي في كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ وجب علينا قبوله والمبادرة إلى امتثاله فعلاً أو تركًا.

ولذا كان السلف رحمهم الله يدورون مع النصوص حيث دارت، ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الأثر. قال الزهري: «من الله الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم».

وقال ابن أبي العز شارحًا قول الطحاوي: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام». أي: لا يثبت إسلام من لم يسلِّم لنصوص الوحيين وينقاد إليها ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

وما أجمل مقولة الخليفة الراشد علي رضي الله عنه حين قال: «إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب- لعلم الله فيه- فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل

النار فينقلب- لعلم الله فيه- فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء، وأشار إلى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام». [الاعتصام للشاطبي ٣٥٨/٢].

وما أحسن مقولة أبي الزناد رحمه الله: «إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرًا على خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بدًا من اتباعها، من ذلك: أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة».

ثانيًا: يجب على المسلم البحث عن الحكم الشرعي، والتثبت فيه قبل إتيان العمل في جميع شئون حياته؛ لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وتطبيق ذلك هو حقيقة الاتباع والتأسي برسول الله ﷺ، يقول الشاطبي في الموافقات حول ذلك: كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل.

ثالثًا: المراد باتباع الرسول ﷺ العمل بكل ما جاء من أوامر ونواهٍ في القرآن الكريم باعتباره وحيًا من الله تعالى، إليه ﷺ والعمل بالسنة المطهرة، يقول ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥١٦)]. قال عطاء: طاعة الرسول ﷺ: اتباع الكتاب والسنة. وقال العلامة السعدي: وإن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وإن نص الرسول على حكم كنص الله- تعالى- لا رخصة لأحد ولا عذر في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله.

رابعًا: ما تركه النبي ﷺ من جنس العبادات ولم يفعله مع وجود المقتضي لفعله على عهده ﷺ ففعله بدعة وتركه سنة، كالاحتفال بالمولد، وإحياء ليلة الإسراء والمعراج، والهجرة ورأس السنة ونحوها، يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». يقول الإمام مالك رحمه الله: «فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى»: «والترك الراتب سنة، كما أن الفعل الراتب سنة». ويقول ابن كثير: «وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل أو قول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه».

خامسًا: كل ما يحتاجه الناس في أصول الدين وفروعه، في أمور الدنيا والآخرة من العبادات والمعاملات في السلم والحرب، في السياسة أو الاقتصاد... إلخ جاءت الشريعة ببيانه وإيضاحه، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال بعض المشركين لسلمان الفارسي: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: «أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول..» الحديث رواه مسلم برقم(٢٦٢).

سادسًا: أن الاتباع لا يتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشرع في ستة أمور وهي:

١- السبب: فإذا تعبد الإنسان لله تعالى بعبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًا فهي بدعة مردودة على صاحبها، مثل إحياء ليلة السابع

والعشرين من رجب بالتهجد يدَّعون أنها ليلة الإسراء والمعراج، فالتهجد في أصله عبادة، لكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة لكونه بني على سبب لم يثبت شرعًا.

٢- الجنس: فإذا تعبد الإنسان لله تعالى بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، كالتضحية بفرس؛ لأن الأضاحي لا تكون إلا من جنس بهيمة الأنعام وهي الإبل أو البقر أو الغنم.

٣- القَدْر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، أو ركعة في فريضة فعمله ذلك بدعة مردودة لأنها مخالفة للشرع في المقدار أو العدد.

٤- الكيفية: فلو نكَّس إنسان الوضوء أو الصلاة لما صح وضوؤه ولا صلاته؛ لأن عمله مخالف للشرع في الكيفية.

٥- الزمان: فلو ضحّى إنسان في رجب، أو صام رمضان في شوال، أو وقف بعرفات في التاسع من ذي القعدة لما صح ذلك منه، لمخالفته للشرع في الزمان.

٦- المكان: فلو اعتكف إنسان في منزله لا في المسجد، أو وقف يوم التاسع من ذي الحجة بمزدلفة لما صح ذلك منه؛ لمخالفته للشرع في المكان. [الإبداع في بيان كمال الشرع لابن عثيمين ٢١٢٢].

سابعًا: الأصل في العبادات بالنسبة للمكلف التعبد والامتثال دون الالتفات إلى الحِكَم والمعاني، وإذا كانت ظاهرة في كثير منها. يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله- مقررًا ذلك-: «يجب أن نعلم أن ما أمر الله به ورسوله، أو نهى الله عنه ورسوله فهو الحكمة، فعلينا أن نسلم، ونقول إذا سألنا أحد عن الحكمة في أمر من الأمور: إن الحكمة أمر الله ورسوله في المأمورات، ونهى الله ورسوله في المنهيات، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٩٢]، وسئلت عائشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصيام ولا نؤمر بقضاء الصلاة»، فاستدلت بالسنة ولم تذكر العلة، وهذا هو حقيقة التسليم والعبادة، أن تكون مسلمًا لأمر الله ورسوله عرفت حكمته أم لم تعرف، ولو كان الإنسان لا يؤمن بالشيء حتى يعرف حكمته لقلنا: إنك ممن اتَّبع هواه فلا تمتثل إلا حيث ظهر لك أن الامتثال خير». [حقوق النبي ﷺ ١٠١-١٠٣].

ولا يفهم أحد مما سبق أن البحث عن الحكم والمعاني في العبادات التي دلت عليها القرائن ليس بمطلوب، كيف لا وقد ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ شيئًا من ذلك كقول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وقول النبي ﷺ: «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله». [سنن أبي داود برقم ١٨٨٨، وحسنه الأرناؤوط في تخريجه لجامع الأصول رقم ١٥٠٥].

ولكن المراد التحذير من التنطع في استخراجها، أو ربط القيام والتنفيذ والعمل بمعرفتها.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

كتاب «الاعتقاد» لابن أبي يعلى

إعداد / علاء خضر

المؤلف: أبو الحسين محمد بن محمد بن حسين بن خلف بن الفراء الحنبلي البغدادي المشهور بالقاضي أبي الحسين.

مولده: ولد عام ٤٥١هـ.

نشأته: نشأ القاضي أبو الحسين في بيئة علمية صالحة، حيث نشأ تحت رعاية والده العلامة محمد بن الحسين المشهور بالقاضي أبي يعلى، وهو شيخ الحنابلة وإمامهم في عصره، حيث عني بتعليم ابنه وتهذيبه منذ نعومة أظفاره، فقد بدأ بحفظ القرآن الكريم، ثم بدأ بعد ذلك توجيهه لدراسة الحديث النبوي وسائر العلوم الشرعية فأخذ على مشايخ بغداد حتى فاق أقرانه.

قال عنه ابن رجب: برع في الفقه وأفتى وناظر، وكان عارفًا للمذهب مشددًا في السنة.

وفاته: توفي عام ٥٢٦هـ.

موضوع الكتاب: بيان ما يعتقده المؤلف رحمه الله من أصول الدين في مسائل الإيمان والتوحيد والأسماء والصفات وغيرها من المسائل على منهج السلف الصالح.

سبب تأليف الكتاب

أنه سُئِل رحمه الله عن عقيدته ومذهبه، فأجاب السائل بكتابة عقيدته في هذه الرسالة.

قيمة الكتاب

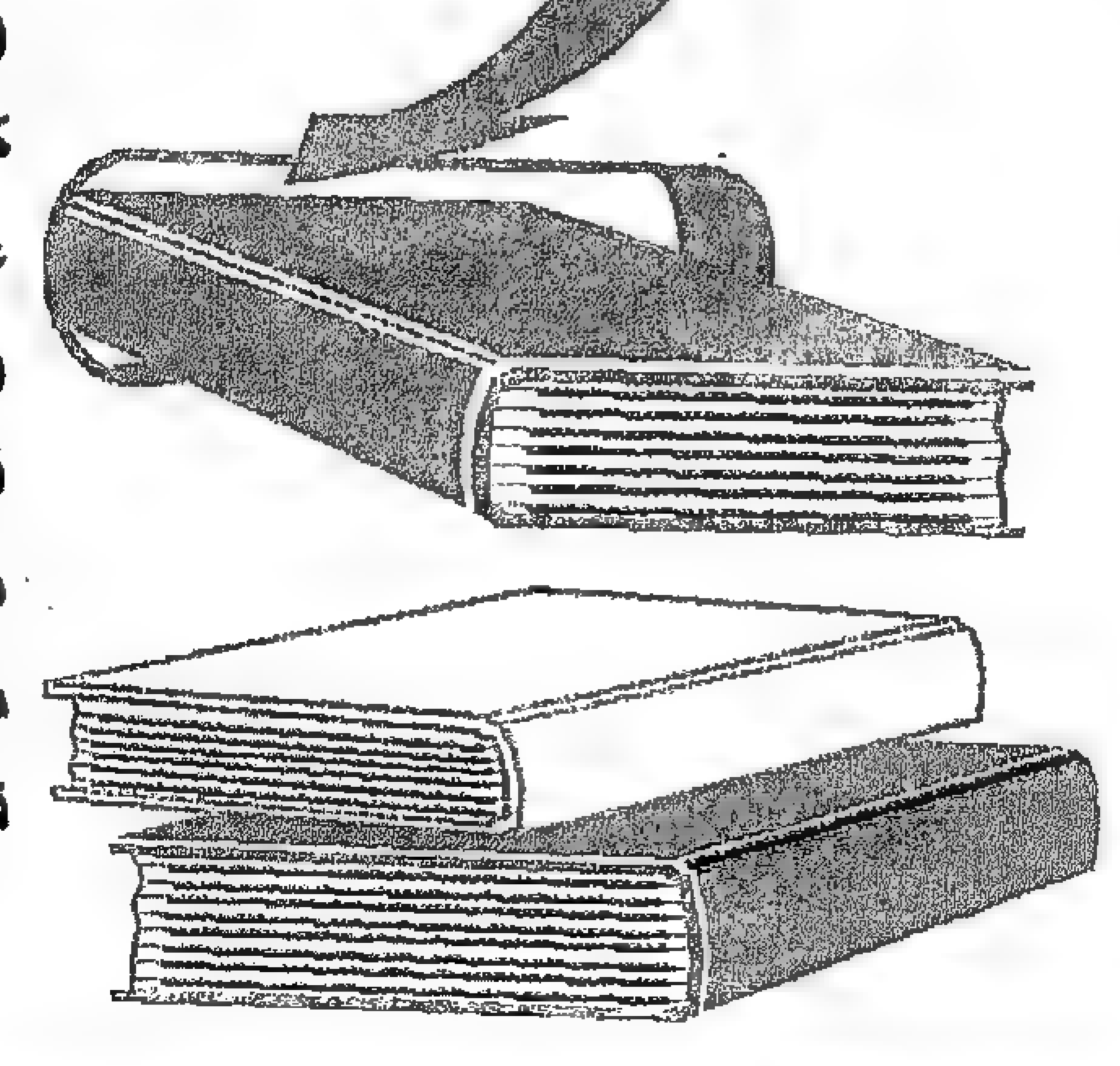
وإن كانت الرسالة صغيرة الحجم، فهي غزيرة الفائدة، تكشف عن كون الإمام المصنف على عقيدة السلف، كما تبين مدى جهاده ودفاعه عن هذه العقيدة، كما يتبين فيها الواجب فعله تجاه المبتدعة المخالفين لعقيدة السلف.

نسخ الكتاب

نسخة بدراسة وتحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الخميس.

ما جاء في العقيدة

بدأ المؤلف كتابه قائلاً: «فأول ما نبدأ بذكره من ذلك ذكر ما افترض الله تعالى على عباده، وبعث به رسوله ﷺ، وأنزل فيه كتابه، وهو الإيمان بالله عز وجل، ومعناه: التصديق بما قال به وأمر به، وافترضه، ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عنده، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال في الإيمان



والتصديق بذلك: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل والقول بالإحسان، وينقصه العصيان، ويستثنى في الإيمان، ولا يكون الاستثناء شكًا إنما هي سنة ماضية عند العلماء، فإذا سُئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. ويقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله».

وقال في القرآن: «هو كلام الله، فالله لم يزل ولا يزال متكلمًا، وإن كلام الله يُسمع تارة من الله عز وجل، وتارة من التالي، فالذي يسمعه من الله سبحانه من يتولى خطابه بنفسه بلا واسطة ولا ترجمان: كنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج لما كلمه، وموسى كذلك على جبل الطور، كذلك سبيل من يتولى خطابه بنفسه من ملائكته، ومن عدا ذلك فإنما يسمع كلام الله القديم على الحقيقة من التالي وهو حرف مفهوم، وصوت مسموع».

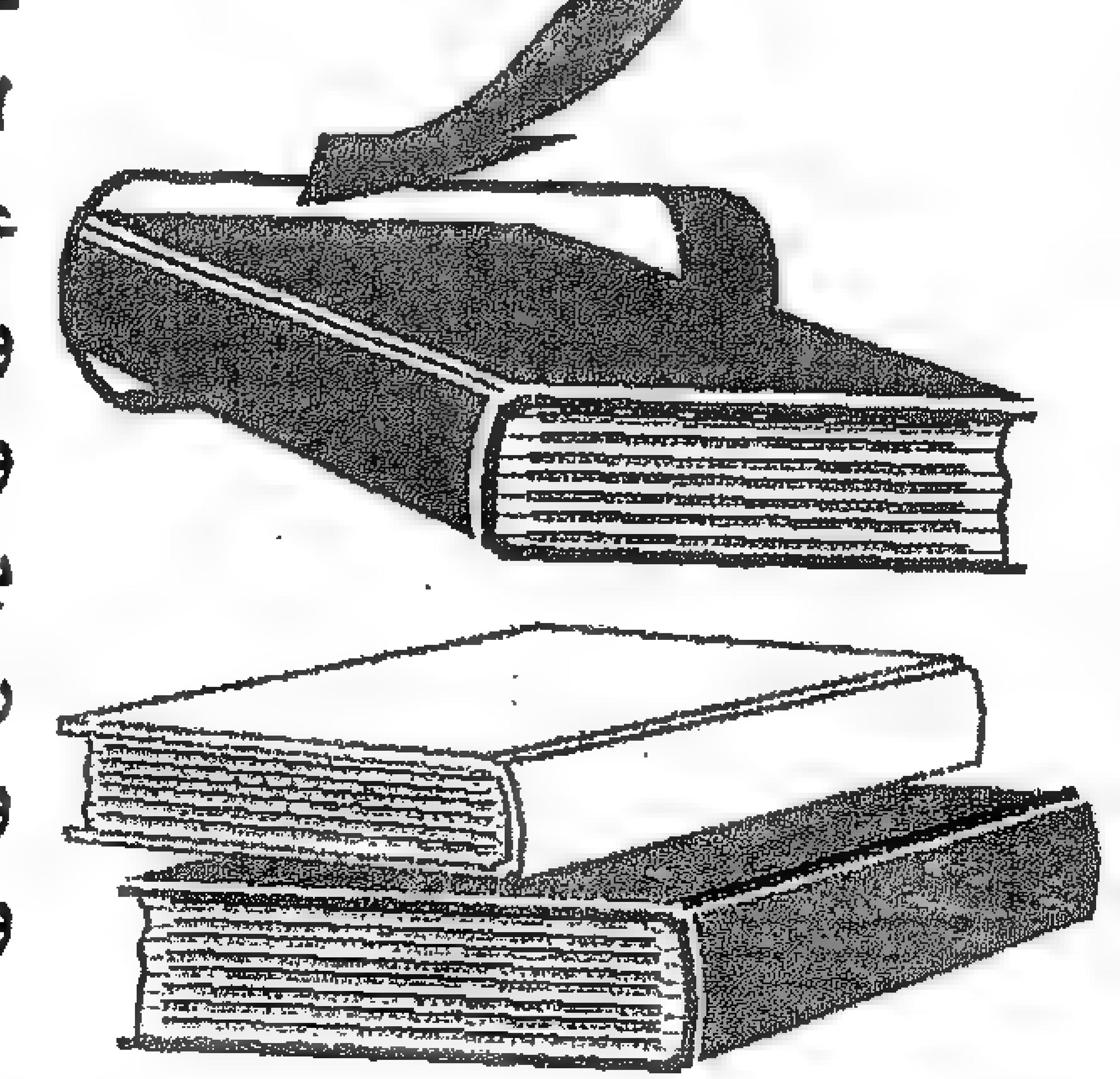
وقال في الصفات: ثم الإيمان بأن الله جل ذكره واحد لا يشبهه شيء، ولا نشبه صفاته، ولا نكيفه، وتكييف صفاته وهم، وإن ما وقع في الوهم فالله وراء ذلك.

وأنه حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، آمر بأمر، ناهٍ بنهي. ونقر بأنه خلق آدم بيده لقوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأن له يمينًا لقوله: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأن له وجهًا لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لقول رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر». وهذا لفظ البخاري.

وقد روى حديث النزول أحمد ومالك والبخاري ومسلم وأبو عيسى الترمذي وأبو داود وابن خزيمة والدارقطني وأئمة المسلمين. وأنه يضحك إلى عبده المؤمن بقول رسول الله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة...» الحديث. رواه البخاري وغيره.

ثم قال في تعطيل الصفات: «وإن تأولها على مقتضى اللغة وعلى المجاز فهو جهمي».

وقال في الإيمان بالقدر: «ويجب الإيمان بالقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله، قضى قضاءه على عباده، وقدر قدره عليهم، لا أحد يعدو منهم مشيئة الله عز وجل، ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم لا محالة، وهو عدل من ربنا عز وجل فأراد الطاعة وشاءها ورضيها وأحبها وأمر بها، ولم يأمر بالمعصية، ولا أحبها ولا رضيها، بل قضى بها وقدَّرها وشاءها وأرادها. والمقتول يموت بأجله.



وقال في الإيمان بعذاب

القبر: «ثم الإيمان بعذاب القبر وبمنكر ونكير، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، قال أصحاب التفسير: عذاب القبر.

وروى البخاري بإسناده عن أم خالد قالت: سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر.

وقال النبي ﷺ: «لو نجا أحد من ضمة القبر (أو ضغطة القبر) لنجا سعد بن معاذ».

وقال في الإيمان بالصراط والميزان والحوض: «ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذ: سلِّم سلِّم، والصراط جاء في الحديث أنه أحدُّ من السيفَ وأدقُّ من الشَّعر».

ثم الإيمان بالموازين، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

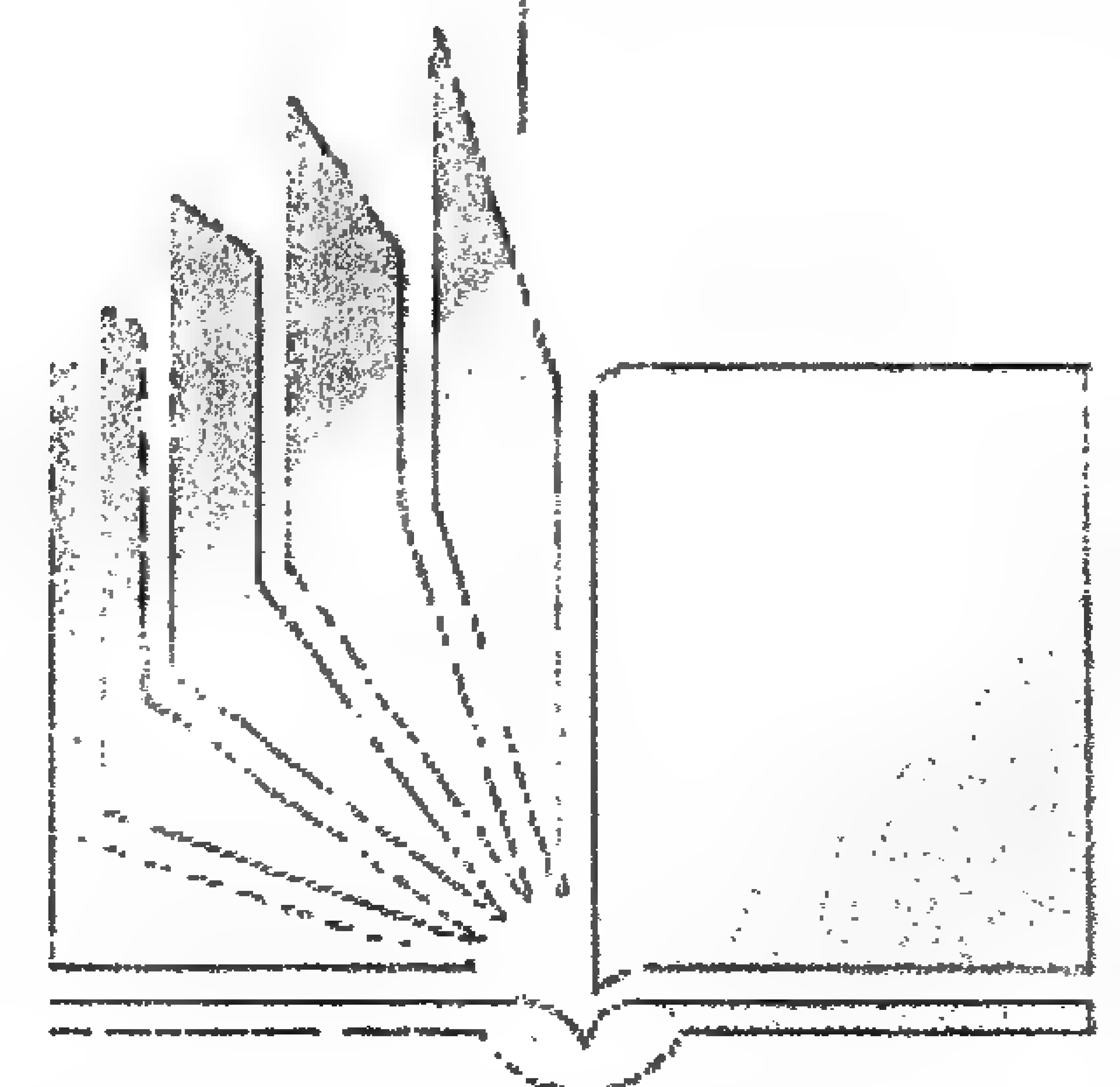
ثم الإيمان بالحوض والشفاعة وقال النبي ﷺ: «إن لي حوضًا ما بين أيلة وعدن». وقال أنس بن مالك: من كذب بالحوض لم يشرب منه.

وقال في الشفاعة: فأما المسيئون الموحدون فإنهم يخرجون منها بالشفاعة. وقال النبي ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وقال في نبوة محمد ﷺ: ثم الإيمان بأن محمدًا نبينا ﷺ خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين ورسول رب العالمين، بعثه إلينا وإلى الخلق أجمعين، وهو سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، فآدم ومَن دونه تحت لوائه، الشاهد لكل نبي، والشاهد على كل امة، أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء بالإيمان، والبشارة به، ووصفه وتبيانه في كتبهم مع ما اختصه الله به من قبل النبوة وبعدها من الآيات المعجزات الباهرات».

وقال في الاعتقاد في الصحابة: «ثم الإيمان بأن خير الخلق بعد رسول الله ﷺ، وأعظمهم منزلة بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، ثم بعده على هذا الترتيب أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم على هذا النعت والصفة أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونشهد للعشرة بالجنة وهم أصحاب النبي ﷺ.

ثم ختم رسالته بالتحذير من أهل البدع وهجرانهم، فقال: «ويجب هجران أهل البدع والضلال كالمشبهة والمجسمة والأشعرية والمعتزلة والرافضة والمرجئة والقدرية والجهمية والخوارج والسالمية والكرامية وبقية الفرق المذمومة». ثم قال المؤلف: فهذا اعتقادي وما أدين به لربي، وهو الذي مضى عليه والدي رحمه الله، والحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آله أجمعين *.



*وهذا ما ندين به لربنا عز وجل، ونسأل الله أن يتوفانا عليه. [التحرير].

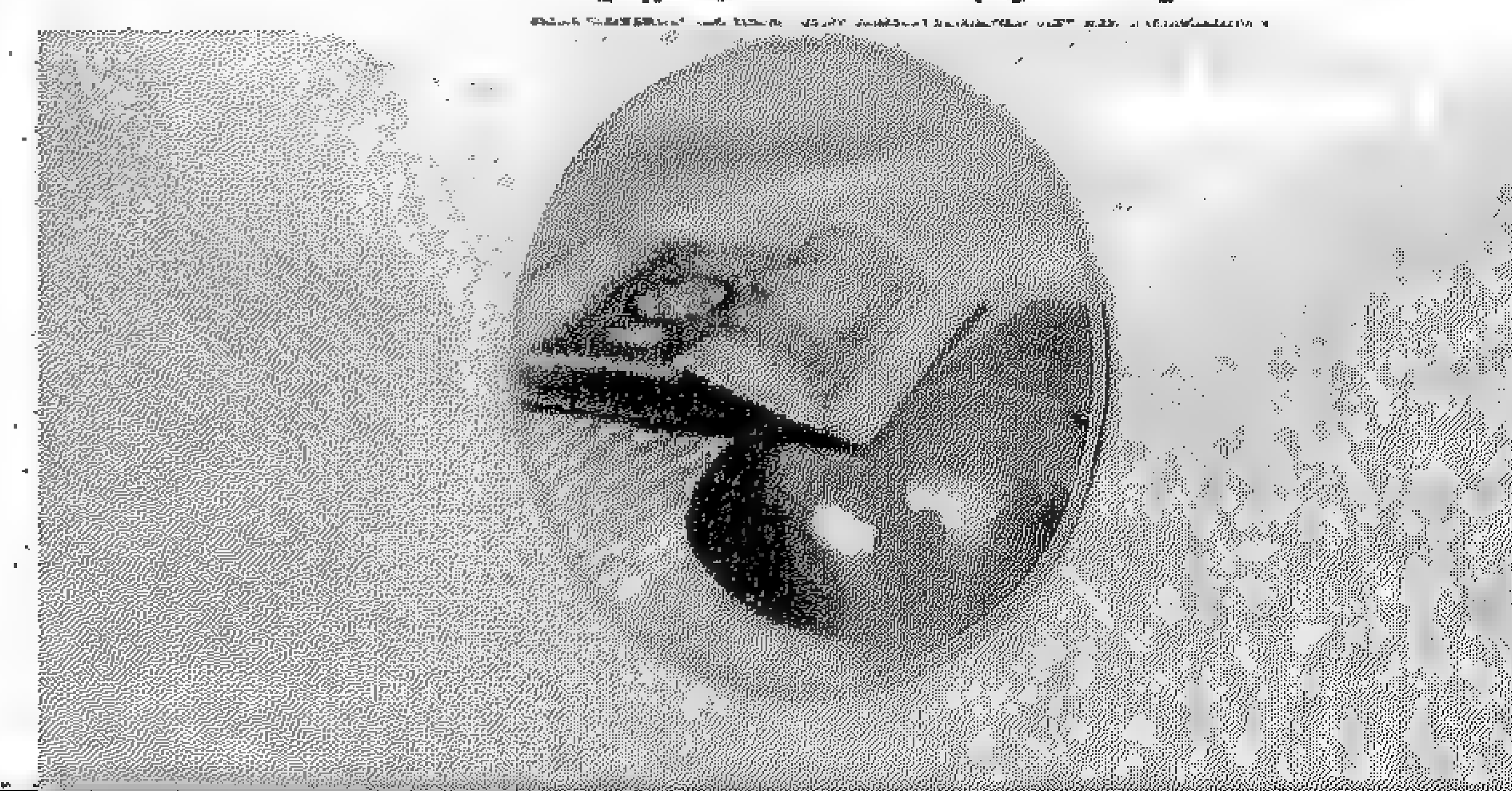


الحلقة التاسعة عشرة

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: في هذا العدد نتعرف - إن شاء الله - على هدي النبي ﷺ في تعليم الأطفال أدب التعامل والمزاح، كما سنرى رحمته ﷺ بالأطفال وبناء شخصيتهم الرجولية بعيدًا عن صفات المؤنثين والمخنثين، كما يعودهم ﷺ على الاخشيشان وقوة التحمل.

نقول- وبالله التوفيق-:



فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم، فقال ﷺ: «ما يُضحككم ؟» فقالوا: لا، إلا أنَّا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال: «لا يحِل لمسلم أن يُرَوِّع مسلمًا»(١).

وعن يزيد بن سعيد عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعبًا ولا جادًا، فإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه فليردها عليه»(٢).

إذا كانت هذه التوجيهات النبوية وجهت للكبار لئلا يروع بعضهم بعضًا، فبالأولى والأحرى أن يُجَنِّب الأطفال أي ترويع؛ لحرمته أولاً، ولكي لا يشبوا جبناء ثانيًا.

فالنبي ﷺ يبني القواعد العامة في نفوس المسلمين وسلوكهم لتكون منهجًا لهم ولسائر الأمة؛ يتحدد بها موقفهم من المشروع والممنوع «لا يحل لمسلم أن يروِّع أخاه»، فلا يخفي عنه ماله أو ولده؛ ليتفرج على لوعته وحيرته، ثم يقول له: كنت أمزح، ولا يدخل عليه بيته من مكان غير مألوف فيرعبه ويرعب مَن بالبيت ويقول: كنت أمزح، ولا يأتي من وراء ظهره ويُحدث صوتًا مرعبًا كصوت سيارة أو صوت كلب، حتى إذا أفزعه وأرعبه ضحك وقال: أنا أمزح! أين نحن من تعاليم هذا الدين العظيم ؟!

(١٠) ويغفر [illegible] ﷺ مراعاة [illegible] المحدودة

الطفل ينسى ويغفل، ولا يستطيع بعقله المتواضع أن يضبط الأمور كالكبار، وكان ﷺ يراعي هذا الجانب تمامًا، وقد ظهر ذلك حينما كان ﷺ يكلف أنسًا رضي الله عنه بعمل؛ فإذا رأى منه تقصيرًا أو نسيانًا لم يعاقبه واكتفى بتوجيهه، فإذا رأى من أهله مَن يريد معاقبته قال: «دعوه، فلو قُدِّر لكان»؛ لأنه ﷺ يعلم أن للطفل طاقة عقلية محدودة، فقد تقول لطفلك: لا تلعب مع الصبيان، وحينما يراهم لا تستحضر ذاكرته نهي أبيه له، كذلك فإن عقله لا يستجمع أن المخالفة عقوق، وأنه منهي عن ذلك، وكما قيل: طفلك ليس أنت. ولذلك كان النبي ﷺ يقول لمن أراد أن يلوم أنسًا: «دعوه، فلو قُدِّر لكان»(٣). بل إنك أخي المربي ستقر عينك، ويطمئن قلبك حينما ترى المربي القدوة محمدًا ﷺ وهو يترفق بالطفل ويغفر له زلته؛ مراعاة لعقله المحدود.

قال أنس: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجةٍ، فقلت : والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال : فنظرتُ إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس؛ أذهبتَ حيث أمرتك؟] قلت : نعم، أنا أذهب يا رسول الله(٤).

فانظر رحمني الله وإياك، الرسول ﷺ أَمَرَ أنسًا، وأنس خادمه، ثم يقول أنس إنه لن يذهب وفي نفسه أن يذهب، والنبي ﷺ يسمع ويرى، فهو يعلم أن أنسًا طفل ويمينه يمين أطفال لغوٌ لا يؤاخذ الله عليه، ويسكت ﷺ ... وينصرف أنس ... ويتابعه رسول الله ﷺ من بُعد، حتى إذا اتجه أنس إلى الصبيان وهم يلعبون في السوق؛ لم يشعر إلا ورسول الله ﷺ قد قبض بقفاه من خلفه في رقة ورحمة، ثم ! وهو يضحك ﷺ.. ثم داعبه بقوله : «يا أنيس» ولم يؤنبه، ولم يحرجه أمام الصبيان ﷺ، ولكنه الحلم والحكمة والرفق والرحمة، فما كان من أنس إلا أن قال : أنا أذهب يا رسول الله. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

إن رسول الله ﷺ عودنا أن يحل المشاكل بسهولة ورفق وباقل الكلام والعمل، لا يضخم الأمور، ولا يستجلب الشرور، ﷺ.

موقف رائع:

كذلك من المواقف اللطيفة الحصيفة التي لا تقع إلا من مثل نبينا ﷺ ، أنه قبيل غزوة بدر أرسل النبي ﷺ استخباراته من أصحابه ليستكشفوا أخبار العدو، فقبضوا على غلامين كانا يستقيان لجيش مكة، فسالوهما : لمن أنتما ؟ قالا : نحن سقاة قريش، فظن الصحابة أنهما يكذبان وأنهما لأبي سفيان، فضربوهما ضربًا موجعًا حتى قالا : نحن لأبي سفيان فتركوهما (كفوا عن ضربهما) وكان ﷺ يصلي حينها، فلما فرغ من صلاته استنكر ما فعله أصحابه، وقال لهم وهو الخبير : «إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما؟ صدقا والله، وإنهما لقريش»، ثم بدأ ﷺ باستجوابهما على قدر ما يتحمل فهمهما ويستوعب عقلهما رافعًا الروع والخوف عنهما، وما لم يقدرا على الإجابة عليه سألهما سؤالاً غيره أسهل، لكنه يوصل إلى المقصود الأول.

قال ﷺ لهما : «كم القوم ؟» قالا : كثير، قال : «ما عِدَّتهم ؟» قالا : لا ندري، (لأنهما يصعب عليهما تقدير العدد بالمئات إلى الآلاف، فسألهما عن الآحاد والعشرات، فهي أسهل على الصبي في عدها وتقديرها)، فقال : «كم ينحرون من الإبل كل يوم ؟» قالا :يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا. فقال النبي ﷺ : «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» على أساس أن البعير يكفي من تسعين إلى مائة فرد(٥). صلى عليك الله يا علم الهدى.

(٩١)وينزههم ﷺ عن التشبه بالإناث:

عن عبد الله بن يزيد رضي الله عنه قال : كنا عند عبد الله بن مسعود، فجاء ابنٌ له، عليه قميص من حرير، قال : مَن كساك هذا ؟ قال : أمي، قال : فشقه، وقال : قل لأمك تكسوك غير هذا(٦) !

ولا شك أن ابن مسعود رضي الله عنه مزق القميص لأنه تعلم من رسول الله ﷺ أن الحرير للنساء وليس للرجال، قال ﷺ : «حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحل لإناثهم»(٧). ولا فرق بين الكبير والصغير في حرمة لبس الحرير؛ لأن النبي ﷺ حرمه على جنس الذكور، إلا أنه لو لبسه الصغير فالإثم لا يلحقه وإنما يلحق الذي ألبسه. فالطفل مرفوع عنه القلم حتى يبلغ ويحتلم.

(٩٢)ويعوّدهم ﷺ الاخشيشان وقوة التحمل:

قال العلماء: «ولا يُعوِّد الأب ولده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة، وأسباب الرفاهية، فيُضيّع عمره في طلبها فيهلك هلاك الأبد».

عن أبي عثمان قال : كنا مع عتبة بن فرقد، فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي ﷺ، فكان فيما كتب إليه : أن رسول الله ﷺ قال : «لا يلبس الحرير في الدنيا إلا مَن ليس له في الآخرة منه شيء، إلا هكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى»(٨).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اتَّزروا وارتدُوا وانتعلوا، والقوا الخِفاف والسراويلات، والقُوا الرُكُب، وانزوا نَزْوًا، وعليكم بالمَعَدِّيَّة، وارموا الأغراض، وذروا التنعم وزيّ العجم، وإياكم والحرير، فإنّ رسول الله ﷺ قد نهى عنه، وقال : «لا تلبسوا الحرير إلا ما كان هكذا»، وأشار رسول الله ﷺ بإصبعيه(٩).



وها هي فترة صِبا النبي ﷺ يُرى فيها القوة والصلابة والاخشيشان الذي أوصى به الشباب بعد بعثته ﷺ :

فعن جابر رضي الله عنه قال : لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك، يقيك الحجارة، فخرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء،

فقال: «أرني إزاري» فشدَّه عليه(١٠). فكان ينقل الحجارة على كتفه.

وكان رسول الله ﷺ إذ ذاك شابًا، وقد رعى الغنم أيضًا، قال: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط(١١) لأهل مكة»(١٢).

وكان ﷺ يحث الشباب على الرماية وركوب الخيل، لما في ذلك من الرجولة والقوة، والاستعداد للشدائد.

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ على نفر من «أسلم» ينتضلون (أي يتسابقون في رمي السهام)، فقال لهم: «ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا»(١٣).

وقال ﷺ: «... ارموا واركبوا.. ومَن ترك الرمي بعد ما علمه رغبةً عنه(١٤) فإنها نعمة كفرها»(١٥).

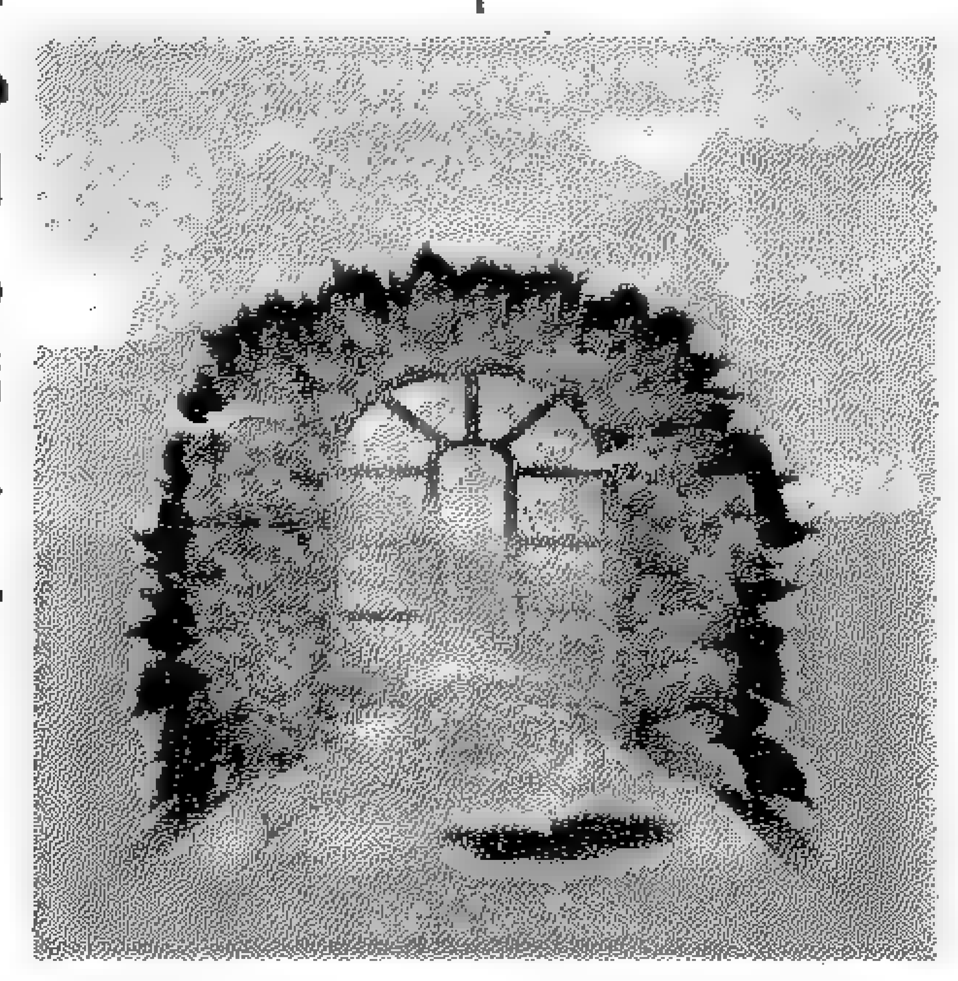
وقال أيضًا ﷺ: «لا سَبَقَ إلا في نصل أو حافر أو خف»(١٦).

يعني تكون المسابقات في الرماية وعلى الخيل والإبل. وقد قام هو بالمسابقة ﷺ، قال أنس: سابق رسول الله ﷺ أعرابيًا فسبقه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ وجدوا في أنفسهم من ذلك، فقيل له في ذلك، فقال: «حقٌ على الله أن لا يرفع شيء في نفسه في الدنيا إلا وضعه الله»(١٧). وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن المسابقات لا ينبغي أن تقوم على العصبية.

وقد كان النبي ﷺ يتسابق مع أعرابي، كما قال أنس رضي الله عنه: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء(١٨) لا تُسبق أو لا تكاد تُسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين، حتى عرفه النبي ﷺ، فقال: «حقٌ على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»(١٩).

فالصحابة رضوان الله عليهم غضبوا وتأثروا لهزيمة ناقة رسول الله ﷺ في السباق، فبين لهم أن هذه أمور دنيوية، وأيّ أمر من أمور الدنيا مهما ارتفع فلا بد يومًا أن يقع.

أقول أيها الإخوة: فلا داعي للتحيز والعصبية؛ لأنَّ العصبية تؤدي إلى الاقتتال والفتنة، والتباغض والجهالة، كما حدث من عصبيات في سباق الخيل المعروف في قصة داحس والغبراء ومات بسببها خلق كثير، وكما يحدث في التعصب لأندية الكرة، وكم من الخلق ماتوا، وغيرهم أصيبوا، وآخرون انتحروا بسبب العصبية للأندية الرياضية، وكم من الوقت يضيع والأعمار تُهدر،



والشباب يفسد، والأموال تُنفق، والمصالح تُعطل، والطاعات تُترك أو تؤجل، والمعاصي تُرتكب، كل ذلك بسبب التعصب الأعمى الذي يلقنه الآباء للأبناء، فيشبون على عصبية أهليهم نفسها، ولو علموا ما في فعلهم هذا من وعيد وتهديد حذَّر منه رسول الله ﷺ فلعلهم يرجعون، قال ﷺ: «ومن قاتل تحت راية عِمِّيَّة يغضب لعصبية وينصر عصبية، يدعو إلى عصبية، فقُتِل فقتلته جاهلية»(٢٠).

وكما هو معلوم عن ميتة الجاهلية على أي شيء تكون؟!

وعن موسى بن عقبة بن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أُضمرت، فأرسلها من الحفياء (مكان) وكان أمدُها ثنية الوداع، فقلت لموسى: فكم كان بين ذلك؟ قال: ستة أميال أو سبعة، وسابق بين الخيل التي لم تضمر، فأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدُها مسجد بني زريق، قلت: فكم بين ذلك؟ قال: جبل أو نحوه، وكان ابن عمر ممن سابق فيها(٢١)، وتضمير الخيل هو التقليل من علفها ليخف وزنها.

وأيضًا من تعويد النبي ﷺ المسلمين الاخشيشان الذي بدأ هو فيه بنفسه وتبعه الكثيرون من صالحي هذه الأمة؛ ما رواه عبد الله بن بريدة رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد رضي الله عنه وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمد ناقة له، فقال: يا فضالة، إني لم آتك زائرًا، إنما أتيتك لحديث بلغني عن رسول الله ﷺ، رجوتُ أن يكون عندك منه علم، فرآه شعثًا (غير ممشط شعره)، فقال: ما لي أراك شعثًا وأنت أمير البلد؟ قال فضالة: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه (الرفاهية والتنعم)، ورآه حافيًا فقال: ما لي أراك حافيًا؟ قال: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نحتفي أحيانًا(٢٢).

وعن عبد الله بن مغفل المُزَني رضي الله عنه «أن النبي ﷺ نهى عن التَّرجُّل (تمشيط الشعر) إلا غِبًا (يعني حينًا بعد حين)»(٢٣).

وهذا كله ليس متعارضًا مع حُبِّ الرجل منا أن يرى ثوبه حسنًا ونعله حسنًا؛ وليس متعارضًا مع أمر النبي ﷺ لمن كان له شعر بأن يكرمه ويدهنه؛ وليس متعارضًا كذلك مع قول أحد أصحابه له: إني لَيعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً ورأسي دهينًا وشراك نعلي جديدًا، فقال له ﷺ: «ذاك الجمال، إن الله جميل يحب الجمال»(٢٤).

وإنما يريد النبي ﷺ مع نظافة

المسلم وجماله؛ ألاّ يكون ذلك شغله الشاغل، وهدفه العاجل والآجل، وإنما المسلم يدرب نفسه على هذا وذاك ويستعد لهذا وذاك، فإن حوصر كان رجلاً، وإن أحيط به كان بطلاً.

حتى اللحم؛ ما كان رسول الله ﷺ يجده في كل الأوقات ليأكله، وفي الوقت نفسه لم يحرص على إيجاده وتوفيره، وقد أُتيَ يومًا بلحم فرُفِعَ إليه الذراع وكانت تعجبه(٢٥).

وللعدل والإنصاف؛ نقول: إن رسولنا الكريم ﷺ إذا كان يحث الأمة على شيء من الاخشيشان، وينهاهم عن كثير من الإسراف والإرفاه (الترفه الزائد)؛ فإنه قد بدأ بنفسه كما رأينا، بل وبأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين.

فعن أبي الورد، عن ابن أعبد قال: قال لي عليٌّ رضي الله عنه: ألا أحدّثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت من أحَب أهله إليه؟ إنها جرَّت بالرحَى (لطحن الحب) حتى أثَّر في يدها، واستقت بالقربة حتى أثَّر في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرَّت ثيابها، فأتى النبي ﷺ خدم، فقلتُ: لو أتيتِ أباك فسألتيه خادمًا؟ فأتته فوجدت عنده حُداثًا (ناسًا) فرجَعَت، فأتاها من الغد ﷺ، فقال: «ما كان حاجتك؟» فسكتت، فقلتُ: أنا أحدثك يا رسول الله، جرَّت فاطمة بالرحي حتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها (رقبتها)، فلما جاءك الخدم أمرتُها أن تأتيك فتستخدمها (تعطيها) خادمًا يقيها حَرَّ (مشقة) ما هي فيه. فقال ﷺ: «اتقي الله يا فاطمة، وأدِّي فريضة ربك، واعملي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعك فسبِّحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي ثلاثًا وثلاثين، وكبِّري أربعًا وثلاثين، فتلك مائة خيرٌ لك من خادم». قالت: رضيتُ عن الله عز وجل، وعن رسوله ﷺ، قال عليّ: ولم يُخْدِمْها(٢٦) أي: لم يعطها خادمًا.

والمفيد هنا أن النبي ﷺ رغم حبه الشديد لابنته فاطمة لم تأخذه العاطفة المسيطرة التي تدفعه إلى مجاملتها حينما سمع من علي رضي الله عنه زوجها عن تأثير الرحى في يدها، والقربة في نحرها، بل ربما تفطَّر قلبه ﷺ من أجلها، لكنه في الوقت نفسه يربطها بربها وخالقها، ويعلمها ما ينفعها في دينها ودنياها.

اللهم صلِّ عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.



(١) مسند أحمد ح ٢٢٩٥٩، وقال محققه: إسناده صحيح، ورواه أبو داود ٣٠١/٤، وغيره.

(٢) (حسن) البخاري في الأدب المفرد ح ١٨٠، انظر صحيح الجامع ح ٧٥٧٨ عن السائب بن يزيد، والصحيحة ح ٩٢١، وقال: صحيح لغيره.

(٣) سبق تخريجه بالفقرة (٤٨).

(٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٠٥.

(٥) الرحيق المختوم ٢٣٣، وأصل القصة في مسلم بلفظ: «فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم رَوَايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: ما لي علم بأبي سفيان. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه. فقال: نعم، أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه قال: ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا ضربوه. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده! لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم». مسلم (ح ١٧٧٩).

(٦) مجمع الزوائد للهيثمي ١٤٤/٥، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

(٧) الترمذي (١٧٤٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٨) (إسناده صحيح) قاله أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد ح ٢٤٣.

(٩) (إسناده صحيح) مسند أحمد ح ٣٠١ تحقيق أحمد شاكر، وقال: «الرُّكُب» بضمتين: موضع القدم من السرج جمع «ركاب»، يريد أن يَدَعوا الاستعانة بها على ركوب الخيل، «وانزوا نزوًا» أي ثبوا على الخيل وثبًا، لِما في ذلك من القوة والنشاط، «وعليكم بالمعدية» يريد خشونة العيش واللباس، تشبهًا بمَعَدِّ بن عدنان جد العرب، وكان أهل قشف وغلظ في المعاش، ففي التنعم اللين والطراوة ثم يتبعها الضعف والذلة. وقال المباركفوري: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١٠) البخاري، كتاب الحج ١٤٧٩، وكتاب المناقب ٣٥٤٢.

(١١) أي مقابل قراريط.

(١٢) البخاري ٢١٠٢، والقيراط: جزء من الدرهم والدينار.

(١٣) البخاري (ح ٢٦٨٤)، وأحمد وابن ماجه.

(١٤) استغناءً عنه.

(١٥) (صحيح) الترمذي ١٥٦١، وقال: هذا حديث صحيح. وانظر صحيح الجامع (ح٦١٤٢).

(١٦) صحيح سنن ابن ماجه ٢٧٨٧.

(١٧) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٥٣، والنسائي.

(١٨) العضباء أي المشقوقة الأذن. لسان العرب باب (عضب).

(١٩) البخاري ج ٣، ص ١٠٥٣.

(٢٠) مسلم ج ٣ ص ١٤٧٨، والبيهقي وغيره.

(٢١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٥٣، والمقصود بأمدها: المسافة التي جرى فيها السباق.

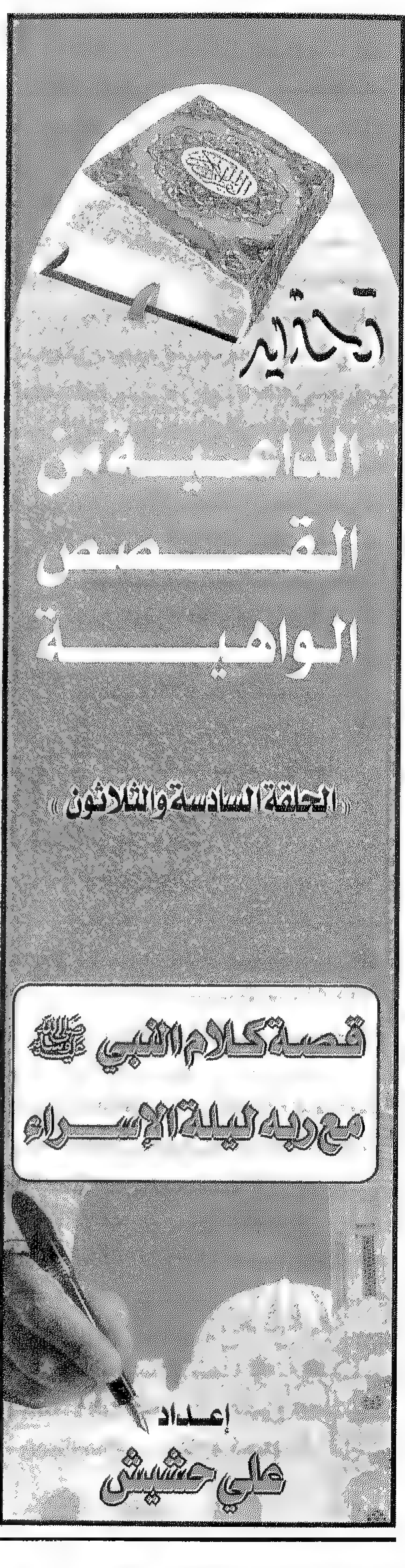
(٢٢) صحيح سنن أبي داود ٣٥٠٦، وأحمد ٢٣٤٢، وانظر السلسلة الصحيحة (ح٥٠٢).

(٢٣) الترمذي ١٦٧٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه. وانظر صحيح سنن أبي داود (ح ٣٥٠٥).

(٢٤) مسلم ١٣١.

(٢٥) مسلم، كتاب الإيمان ح ٢٨٧.

(٢٦) رواه البخاري ج ٣، ص ١٣٥٨، ومسلم ج ٤، ص ٢٠٩١، وأبو داود، واللفظ له.



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة كثير من الوعاظ والقصاص، وهي قصة «كلام النبي ﷺ مع ربه ليلة الإسراء» حول عطائه للأنبياء جاءت في كتاب منسوب إلى الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما ويسمى «الإسراء والمعراج للإمام ابن عباس رضي الله عنهما».

قلت: وهو مليء بالكذب والأباطيل، وابن عباس بريء من هذا الكتاب الذي اشتهر وانتشر لصغر حجمه حيث يحتوي على ست وأربعين صفحة، ورخص ثمنه واحتوائه على عجائب منكرة يستميل بها القصاص والوعاظ قلوب العوام.

ففي (ص٣٥، ٣٦، ٣٧) جاءت قصة كلام النبي ﷺ مع ربه حول عطائه للأنبياء، حيث نسب إلى النبي ﷺ أنه ليلة الإسراء والمعراج رُفِع له الحجاب وكلَّم ربه فقال: «إلهي وسيدي، إني أسألك شيئًا. قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق آدم بألفي عام أن لا تسألني شيئًا إلا أعطيتك. فقلت: إلهي وسيدي ومولاي، خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من رُوحك وأسجدت له ملائكتك، واتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، ورفعت إدريس مكانًا عليًا، وأعطيت داود زَبُورًا، وغفرت له ذنبًا عظيمًا، وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، وسخرت له الإنس والجن، والطير والوحش والريح، وخلقت عيسى بكلمتك فبمَ فضَّلتني كما فضلت هؤلاء؟ قال الله تعالى: يا محمد، إن كنت خلقت آدم بيدي، فقد خلقته من طين، وخلقتك من نور وجهي، وإن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيبًا، والحبيب أفضل من الخليل، وإن كنت كلمت موسى تكليمًا، فقد كلمته من وراء حجاب على طور سيناء، وكلمتك على بساط القُرب بغير حجاب، وإن كنت رفعت إدريس مكانًا عليًا، فإنما رفعته إلى السماء الرابعة، ورفعتك إلى مكان لم يصل إليه غيرك، وإن كنت أعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، فقد جعلت لك الأرض مسجدًا والتراب طهورًا، وإن كنت أعطيت داود زبورًا، فقد أعطيتك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم، وفيه سورة الفاتحة وسورة البقرة وسورة آل عمران، ما قرأها أحد من أمتك إلا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل، وإن كنت خلقت عيسى بكلمتي فقد شققت لك اسمًا من أسمائي، وجعلت اسمك مع اسمي لا يقول عبد: لا إله إلا الله إلا يقول: محمد رسول الله. ومَنْ لم يقر برسالتك فلا أقبل منه عمله وهو في الآخرة من الخاسرين...». اهـ.

وقصة كلام النبي ﷺ مع ربه حول عطائه للأنبياء ليلة

الإسراء والمعراج أوردها الإمام ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١/١٥٥- ١٦٩) في حديث ابن عباس الطويل، حيث بلغ خمسة وسبعين وثلاثمائة سطر، وفيه بعض الزيادات التي نسبت إلى الرسول ﷺ أنه قال: «ما سمعت شيئًا قط ألذ ولا أحلى من نغمة كلام الله فاستأنست إليه من لذاذة نغمته حتى كلمته بحاجتي؛ فقلت: يا رب، إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، ورفعت إدريس مكانًا عليًا، وآتيت سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتيت داود زبورًا فما لي يا رب...» القصة.

قلت: ولقد جاء في القصة التي أوردها ابن عراق في ختامها ما نُسب إلى النبي ﷺ «ثم أفضى إليَّ من بعد هذا بأمور لم يأذن لي أن أحدثكم بها، فلما عهد إلى عهده وتركني ما شاء الله ثم استوى على عرشه سبحانه بجلاله ووقاره وعزّه نظرت فإذا قد حيل بيني وبينه...» اهـ.

وفي أول القصة قيل: إن النبي ﷺ وجد ربه حين كشف حجبه مستوٍ على عرشه في وقاره وعزّه ومجده وعلوه.. اهـ.

التخريج والتحقيق للقصة

الحديث الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه ابن مردويه في «التفسير» من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه، كذا في «تنزيه الشريعة» (١/١٦٩)، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/١١) قال: «أخبرنا محمد بن بشرود النَّسَوي، قال: حدثنا حميد بن زنجويه قال: حدثنا محمد بن خراش الموصلي قال: حدثنا علي بن قتيبة عن ميسرة عن عبد ربه قال: حدثنا عمر بن سليمان الدمشقي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس مرفوعًا.

١- قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/١٦٩): «أخرج ابن حبان قطعة منه».

قلت: «وهذا إجمال ما قد فصلنا، حيث بيّنا أنه أخرجه في كتابه «المجروحين» لا في «صحيحه» هذا بالنسبة لمصنفات ابن حبان».

أما قول ابن عراق: «أخرج ابن حبان قطعة منه» فهو إجمال بالنسبة للمتن؛ فابن حبان يعرف متن الحديث بطوله، والدليل على هذا: أنه بعد أن ذكر هذه القطعة من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه عن عمر بن سليمان قال: «فذكره بطوله أكره ذكره لشهرته عند من كتب الحديث وطلبه». اهـ.

قلت: ثم بيّن الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣/١١) علة الحديث، فقال: ميسرة بن عبد ربه الفارسي من أهل دَورق، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع المعضلات على الثقات في الحث على الخير، والزجر عن الشر لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار». اهـ.

قلت: ثم أخرج ابن حبان هذا الحديث دليلاً على أن ميسرة بن عبد ربه يروي الموضوعات وذكر قطعة منه ثم قال: «فذكر- أي ميسرة بن عبد ربه- حديثًا طويلاً في قصة المعراج شبيهًا بعشرين ورقة».

وعلل ابن حبان عدم ذكره للحديث بطوله حيث قال: «أكره ذكره لشهرته عند من كتب الحديث وطلبه». اهـ.

٢- أورده الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الصغير» ترجمة (٣٥٥) ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه يُرْمى بالكذب». اهـ.

٣- أورده الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٨٠) ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه متروك». اهـ.

«فائدة»

قلت: هذا المصطلح عند النسائي له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل

حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤- أورده الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥١٠)، ثم قال: «ميسرة بن عبد ربه بغدادي عن زيد بن أسلم، كتاب «العقل» لداود بن المُحَبَّر تصنيفه». اهـ.

فائدة

يتوهم من لا دراية له بهذا الفن أن عبارة الدارقطني هذه لا تدل على الجرح، ولا يدري أن مجرد ذكر اسم الراوي فقط يدل على أنه متروك، يدل على ذلك قول الإمام البرقاني: «طالت محاورتي مع ابن حَمَكان وأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات».

٥- ثم ذكر الإمام الذهبي في الميزان (٣/٢٠٢/٦١٢٩) علة أخرى لحديث القصة فقال: «عمر بن سليمان عن الضحاك، فذكر حديث الإسراء بلفظ موضوع». اهـ.

وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/٣٥٦) (١٧٣١، ٦٠٨٢)، وبهذا التحقيق حكم الحافظان الذهبي وابن حجر على حديث القصة في ليلة الإسراء بأنه: موضوع.

فائدة

الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان؛ سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مبينًا أي مقرونًا ببيان وضعه. قاله السيوطي في «التدريب» (١/٢٧٤).

طريق آخر للقصة

رُوِيَ عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «لما انتهى بي إلى السماء ما سمعت صوتًا هو أحلى من كلام ربي عزَّ وجلَّ فقلت: يا رب، اتخذت إبراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليمًا، ورفعت إدريس مكانًا عليًا، وآتيت داود زبورًا، وأعطيت سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فماذا لي يا رب؟ فقال: يا محمد، اتخذتك خليلاً كما اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمتك كما كلمت موسى تكليمًا، وأعطيتك فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة، ولم أعطها أحدًا قبلك، وأرسلتك إلى أسود الناس وأحمرهم، وإنسهم وجنِّهم، ولم أرسل إلى جماعتهم نبيًا قبلك، وجعلت الأرض لك ولأمتك مسجدًا وطهورًا، وأطعمت أمتك الفيء ولم أحله لأمة قبلها، ونصرتك بالرعب حتى أن عدوك ليرعب منك، وأنزلت عليك سيد الكتب كلها ومهيمنًا عليها، قرآنًا عربيًا مبينًا، ورفعت لك ذكرك حتى لا أذكر إلا ذكرت معي». اهـ.

قلت: هذه هي القصة التي جاءت في حديث أبي سعيد، وهذا هو لفظها وهو قريب من لفظ القصة في حديث ابن عباس الذي أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة».

التخريج والتحقيق للقصة من حديث أبي سعيد

القصة أخرج حديثها الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (١/١٨٣) (ح٢٨٣) باب «ذكر أشياء رآها ليلة المعراج» حيث قال: أنبأنا الحريري، قال: أنبأنا العشاري، قال: أخبرنا الدارقطني قال: حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن المعتدي، قال: حدثني روح بن مسافر عن أيوب عن سليمان بن عبد الله بن صالح، حدثنا الربيع بن بدر، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد مرفوعًا.

قال ابن الجوزي في «العلل» (١/١٨٣): «هذا حديث لا يصح».

قلت: وهذا الحديث الذي جاءت فيه القصة مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: أبو هارون العبدي وهو عُمارة بن جوين:

١- أورده الذهبي في «الميزان» (٣/١٧٣/٦٠١٨) وقال: «كذّبه حماد بن زيد. وقال شعبة: لئن أُقدَّم فتضرب عنقي أحبُّ إليَّ من أن أحدث عن أبي هارون. وقال أحمد: ليس بشيء. قال السليماني: سمعت أبا بكر بن حامد يقول: سمعت صالح بن محمد أبا علي- وسئل عن أبي هارون العَبْدي- فقال: أكذب مِن فرعون». اهـ.

٢- قلت: وأورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤٧٦) وقال: «عمارة بن جوين أبو هارون العبدي، متروك الحديث بصري». اهـ.

وهذا المصطلح «متروك» عند النسائي بيَّنا معناه آنفًا.

٣- وأورده الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء الصغير» رقم (٢٨٢) وقال: «عمارة بن جوين، أبو هارون العبدي، عن أبي سعيد: تركه يحيى القطان». اهـ.

٤- وأورده ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٧٧) وقال: «عمارة بن جوين: أبو هارون العبدي: يروى عن أبي سعيد الخدري، كان رافضيًا يروي عن أبي سعيد ما ليس من حديثه، لا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب». اهـ.

قلت: وهذه القصة من روايته عن أبي سعيد.

العلة الثانية: الربيع بن بدر الذي روى القصة عن أبي هارون العبدي:

١- أورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٠٠) وقال: «ربيع بن بدر، ويقال له عُلَيلّة بن بدر: متروك الحديث بصري». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح له معناه كما بيناه آنفًا، وعُلَيْلَة لقبه كما في «تاريخ الخطيب» (٨/٤١٥).

٢- وأورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣/٢٠٧)، وقال: «الربيع بن بدر بن عمرو بن جراد التميمي السعدي الأعرجي، ويقال العرجي أبو العلاء البصري المعروف بعليلة وهو لقب، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو داود: ضعيف. وقال مرة لا يكتب حديثه. وقال يعقوب بن سفيان وابن خراش متروك الحديث. وقال الجوزجاني: واهي الحديث». اهـ.

٣- وأورده ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٩٣) وقال: «الربيع بن بدر التميمي السعدي مولى طلحة بن عبد الله بن عوف الذي يقال له عليلة وكان أعرج من أهل البصرة، كان ممن يقلب الأسانيد يروي عن الثقات الموضوعات، وعن الضعفاء الموضوعات».

العلة الثالثة: روح بن مسافر:

١- أورده الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» ترجمة (١٢٠) وقال: «روح بن مسافر، أبو بشر تركه ابن المبارك وغيره».

٢- وأورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١٩٢) وقال: «روح بن مسافر متروك الحديث بصري».

٣- وأورده الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٢٢٥) ولم يذكر شيئًا عنه مما يدل على أنه متروك كما هو مبين في القاعدة التي أوردناها آنفًا.

الاستنتاج

من هذا التحقيق يتبين: أن القصة واهية أيضًا من حديث أبي سعيد، وبهذا يتبين أن قصة كلام النبي ﷺ مع ربه ليلة الإسراء حول عطائه للأنبياء لا تصح، ولم يصح أنه سأل ربه عن عطائه لأنبيائه، كذلك لم يصح أنه سأل ربه وقال له بِمَ فضلتني كما فضلت هؤلاء؟ ولم يصح عنه ﷺ أنه ذكر لربه عطاء الأنبياء ثم سأل ربه قائلاً: فماذا لي يا رب؟ كذلك لم يصح أن الله عز وجل خاطب النبي ﷺ في ليلة الإسراء، فقال: «نصرتك بالرعب، وجعلت لك الأرض مسجدًا وطهورًا، وأطعمت أمتك الفيء، وأرسلتك إلى أسود الناس وأحمرهم...». بل ولم يصح كذلك في حديث قدسي.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

●● عزيزي القارئ ●●

صحح أحاديثك

أقدم لك عزيزي القارئ هذه الحلقة من سلسلة صحح أحاديثك حول ما ورد في شهر رجب:

أولاً: حديث «رجبُ شهرُ الله، وشعبانُ شهري، ورمضانُ شهر أمتي».

☐ **الحكم:** الحديث ليس صحيحًا، أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٢٤)، وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وقد اتهموا به ابن جهيم ونسبوه إلى الكذب، وسمعت شيخنا عبد الوهاب الحافظ يقول: «رجاله مجهولون وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم». اهـ.

فائدة: قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١٦٧): «وكذلك أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب، كلها كذب مختلق على رسول الله ﷺ، ثم أورد الحديث وفيه: «لا تغفلوا عن ليلة أول جمعة من رجب فإنها ليلةٌ تسميها الملائكة الرغائب». ثم قال: الحديث مكذوب بطوله.

وأورده الإمام الشوكاني في «الفوائد» (ص٤٨، ٤٩)، وقال: «هو موضوع ورجاله مجهولون».

ثانيًا: حديث صلاة ليلة النصف من رجب.

☐ **الحكم:** الحديث ليس صحيحًا، أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٢٦) من حديث أنس مرفوعًا، وقال: «هذا موضوع ورواته مجهولون ولا يخفى تركيب إسناده، وجهالة رجاله، والظاهر أنه من عمل الحسين بن إبراهيم»، وأقره الشوكاني في «الفوائد» (ص٥٠).

ثالثًا: حديث: «مَن صامَ من رجبٍ كذا وكذا فله من الأجر كذا...».

☐ **الحكم:** الحديث ليس صحيحًا، أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وهو حديث طويل فيه: من صام من رجب يومين، ومن صام ثلاثة أيام، وأربعةً، وخمسة، إلى أن وصلَ إلى «من صامَ من رجب خمسة عشر يومًا يوقفُه اللهُ يومَ القيامةِ موقف الآمنين».

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ والكسائي لا يعرف والنقاش متهم. اهـ.

وقال ابن القيم في «المنار المنيف» (ح١٧٢) الجميع كذب مختلق.

رابعًا: حديث «من فرَّج عن مؤمنٍ كربةً في رجب أعطاه اللهُ تعالى في الفردوس قصرًا مد البصر، أكرموا رجبًا يكرمكم اللهُ بألف كرامة».

☐ **الحكم:** الحديث ليس صحيحًا.

قال الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب» (ص٤٧): «هو متن لا أصل له، بل اختلقه أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي- لا بارك الله فيه- ووضع له إسنادًا رجاله ثقات، فقال: أخبرنا أبو غانم محمد بن الحسن، أخبرنا علي بن وصيف، حدثنا البغوي، أنبانا خلف بن هشام، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عطاء، عن عبد الله بن الزبير به مرفوعًا».

خامسًا: حديث: «إن شهرَ رجبٍ شهرٌ عظيمٌ، من صام منه يومًا كتب الله له صوم ألف سنة...».

☐ **الحكم:** الحديث ليس صحيحًا. أخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢٠٧) وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال ابن حبان: «لا يجوز الاحتجاج بهارون بن عنترة يروي المناكير الكثيرة حتى تسبق إلى قلب المستمع لها أنه المعتمد لها».

قلت: وأورده الشوكاني في «الفوائد» (ص١٠١) وقال: رواه ابن شاهين عن علي مرفوعًا، قال في اللآلئ: لا يصح وهارون بن عنترة يروي المناكير. اهـ.

قاعدة هامة:

قال الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب» (ص٢٣): «لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه- معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه- حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ، رويناه عنه بإسناد صحيح وكذلك رويناه عن غيره ». اهـ.

قلت: ثم بيَّن الحافظ ابن حجر مذهبه: وهو عدم العمل مطلقًا بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ولا غيرها، حيث قال: «ولا فرق في العمل بالحديث في الأحكام أو في الفضائل؛ إذ الكل شرع».

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١٥١): «وكل حديث في ذكر صوم رجب، وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى».

بدائل صحيحة يذكر فيها لفظ « شهر رجب » من غير ذكر صوم مخصوص برجب، أو صلاة في بعض الليالي:

١- عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان استدار كهيئتهِ يوم خلق اللهُ السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا: منها أربعةُ حرمٌ: ثلاث متوالياتٌ: ذو القعدة، وذو الحجةِ، والمحرمُ، ورجبُ مضرٍ الذي بين جمادى وشعبان». الحديث.

☐ الحكم: الحديث صحيح متفق عليه، رواه البخاري في «صحيحه» (ح٥٥٥٠)، ورواه مسلم في صحيحه (ح١٦٧٩).

٢- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا فرع ولا عتيرة».

والفرع أول النتاج، كانوا يذبحونه لطواغيتهم، والعتيرة في رجب. اهـ.

☐ الحكم: الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (ح٥٤٧٣)، ومسلم (ح١٩٧٦).

سادسًا: أحاديث تعيين ليلة الإسراء والمعراج:

حديث: «كان رسول الله ﷺ يسأل ربه أن يريه الجنة والنار فلما كان ليلةُ السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا ورسول الله ﷺ نائم في بيته ظهرًا أتاه جبريلُ وميكائيلُ فقال: انطلقْ...» وذكر حديث الإسراء.

☐ الحكم: الحديث ليس صحيحًا، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٤٢/١، ١٤٣) قال: أخبرنا محمد بن عمر عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وغيره من رجاله قالوا. فذكر الحديث.

قلت: هذا حديث ضعيف جدًا وعلته محمد بن عمر وهو الواقدي متروك وعلة أخرى ابن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: يضع الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء. كذا في «الميزان» (٥٠٣/٤، ٥٠٤).

فائدة هامة:

١- نقل الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٥٧/١) عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه سئل عن ليلة الإسراء، فقال: «لم يقم دليل معلوم لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره بخلاف ليلة القدر».

٢- قال أبو شامة في «الباعث» (ص١٧١): «وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب وذلك عند أهل التعديل والجرح عين الكذب». اهـ.

٣- وقال ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص١٦٨): «وقد روى أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة ولم يصح شيء من ذلك، فروى أن النبي ﷺ ولد في أول ليلة منه، وأنه بعث في السابع والعشرين منه، وقيل في الخامس والعشرين ولا يصح شيء من ذلك». اهـ.

٤- لذلك قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في «التحذير من البدع» (ص٩): وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج، لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث».

٥- ولئلا يتقول علينا متقول بما لم نقله، يجب أن يفرق بين أحاديث «تعيين ليلة الإسراء والمعراج»، وبين أحاديث «حدث الإسراء والمعراج».

فأحاديث «تعيين ليلة الإسراء والمعراج» لا يصح فيها شيء كما بيَّنا آنفًا، أما أحاديث «حدث الإسراء والمعراج» وافتتاح أبواب السماوات السبع للنبي ﷺ فهي ثابتة في أعلى درجات الصحة بل متواترة أوردها الكتاني في «نظم المتناثر في الحديث المتواتر». هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

من أخبار الجماعة

برقية شكر من معالي وزير الشئون الإسلامية والأوقاف بالمملكة السعودية

ردا على البرقية التي كان قد أرسلها الدكتور جمال المراكبي إلى معالي وزير الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد بخصوص شجب واستنكار التفجيرات التي وقعت في الرياض، أرسل معاليه البرقية التالية ردًا على الرسالة.

فضيلة الأخ الشيخ / جمال المراكبي

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد تلقيت ببالغ التقدير برقيتكم المؤرخة في ٢٣ / ٣ / ١٤٢٤هـ، المتضمنة شجبكم واستنكاركم للتفجيرات الآثمة التي تمت مؤخرًا بالرياض.

وإذ أعرب لكم عن شكري وتقديري على ما أعربتم عنه من مشاعر صادقة تجاه هذا العمل الإجرامي الذي أزهق أرواح الأبرياء وسفك دماءًا معصومة.. أسأل الله تعالى أن يديم علينا وعليكم نعمة الأمن، وأن لا يريكم والمسلمين أي مكروه، وأن يحفظ هذه البلاد الطاهرة، وبلاد المسلمين عامة من كل سوء وأن يكفيها شر كل متربص، وأن يرد كيد المجرمين في نحورهم وأن يعيذنا من شرورهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ



ميراث المال الحرام

يسأل سائل: كان أبي له من المال الكثير، والذي مصدره حرام، ومات... فهل نرث من هذا المال؟ وإذا ورثنا منه وكان نصيبي منه يبلغ النصاب فهل أخرج زكاته وهو أصله حرام؟

الجواب: إذا كان المال حرامًا بعينه فلا يحل اكتسابه بميراث أو هبة، بل يرد لأصحابه وإن كان المال يشوبه الحرام فهو مال مختلط، وقد اختلف أهل العلم في تملكه بالميراث والهبة، والراجح قول من قال ذلك مهنؤه وعليه وزره، ويستحب تطهيره بشيء من الصدقة. والله أعلم.

حكم الزكاة مع الدَّين

سائل يقول: عليّ ديون ولكن لي تجارة، فهل أُخْرِج زكاة تجارتي وأنا عليّ ديون؟

الجواب: اختلف العلماء في إسقاط الزكاة بالدَّيْن، والجمهور على أن الدين يمنع الزكاة، وخاصة في الأموال الباطنة التي لا يراها الناس كالنقود وعروض التجارة التي لا يعرف الناظر إليها مقدارها، وأما الأموال الظاهرة كالسائمة من الأنعام والحبوب والثمار والمعادن، فالجمهور على أن الدين لا يمنع الزكاة فيها. قال الإمام أحمد رحمه الله: لأن المصدق (الذي يجمع الزكاة) إذا جاء فوجد إبلاً أو بقرًا أو غنمًا لم يسأل: أي شيء على صاحبها من الدين؟ وليس المال (الأثمان الباطنة من النقود مثلاً)، هكذا. أي لا سؤال فيها. واشترطوا لإسقاط الزكاة بالدين ألا يجد المزكي مالاً يقضي منه الدين سوى ما وجبت فيه الزكاة، أما إن كان عنده مال آخر فائض عن حاجاته الأساسية فإنه يجعله في مقابلة الدين لكي يسلم المال الزكوي فيُخرج زكاته.

مثال: رجل يملك مبلغًا من المال يبلغ نصابًا للزكاة وعليه دين يعادل هذا المبلغ سقط عنه الزكاة لاستغراقها في الدين.

ورجل عنده خمس من الإبل فيها شاة زكاة، وعليه دين فإن كان عنده مال آخر لا يبلغ النصاب قضى منه دينه ويبقى المال الزكوي وهو الإبل ليخرج زكاته رعايةً لحظ الفقراء. والله تعالى أعلم.

حدود الولاية على مال اليتيم

امرأة توفي عنها زوجها ولها منه ابنة تصرف معاش والدها وهي تحت وصايتها، ثم تزوجت المرأة بزوج آخر يعمل موظفًا محدود الدخل أصابته عُسْرة شديدة وعليه

ديون، فهل للزوجة التصرف في مال ابنتها القاصرة لصالح زوجها، وهل يُعتبر إذن الربيبة لها التصرف في مالها؟ وهل تملك الربيبة الحرية في التصرف في مالها؟

الجواب: ليس للولي أن يتبرع من مال اليتيم بشيء، ولا اعتبار بإذن اليتيم بالتصرف في ماله لصغره ولأنه ليس أهلاً للتصرف في ماله حتى يبلغ ومن أجل هذا شُرعت ولاية الولي عليه.

بل الواجب على الولي أن ينمي أموال اليتيم ما استطاع حتى إذا كبر وبلغ دفعها إليه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [سورة النساء: ٦].

الحجامة في الإسلام

سائل يقول: هل العلاج بالحجامة ورد بخصوصه شيء في الشرع أم أنه من قبيل الشعوذة كما يقولون؟

الجواب: التداوي بالحجامة جائز شرعًا، وورد في ذلك عدة أحاديث عن النبي ﷺ منها قوله: «خير ما تداويتم به الحجامة». ومنها قوله: «خير الدواء الحجامة». أخرجه البخاري (١٠/١٥٠) بلفظ: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة»

ومنها ما رواه البخاري ومسلم: «إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي».

ولقد اعتنى الفقهاء ببيان أحكام الحجامة من حيث تأثيرها على الطهارة وعلى الصوم وعلى الإحرام ومن حيث القيام بها وأخذ الأجرة عليها والتداوي بها وكتب الفقه والعلم مليئة بهذا. (وقد احتجم النبي ﷺ وهو محرم). أخرجه البخاري. وعليه تصبح الحجامة بعد هذا البيان النبوي الذي أمر القرآن أن يؤخذ به في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]. وحذر من الخروج على ذلك بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤] من الأمور المعتبرة شرعًا.

ظهور المرأة على زوج ابنتها

سائل يقول: هل يجوز للمرأة أن تجلس مع زوج ابنتها على انفراد (في خلوة) علمًا بأنها محلّ للفتنة؟

الجواب: أم الزوجة تُعد من المحارم؛ لقول الله تعالى في المحرمات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، ولها أن تظهر على زوج ابنتها بالزينة التي حددها الشرع هذا مع أمان الشهوة والفتنة، وإلا حرمت الخلوة بينهما. والله أعلم.

لبس الجورب وخلعه مع بقاء الطهارة

ويسأل سائل: لبست الجورب على وضوء، ثم خلعته ولم ينتقض وضوئي، وأريد الصلاة، فهل يمكن أن أصلي بهذا الوضوء أم أن الوضوء انتقض بمجرد خلعي للجورب؟!

الجواب: ما دمت لبست الجورب على وضوء وطهارة ثم خلعته قبل أن ينتقض وضوؤك فلازالت الصلاة بهذا الوضوء جارية وسارية ولا حرج حينئذ من لبس الجورب وخلعه. أما إذا لبست الجورب على طهارة ثم خلعته بعد أن نقض وضوؤك فلا يجوز لك لبسه مرة أخرى والمسح عليه إلا على طهارة جديدة. والله أعلم.

الفأرة إذا سقطت في الزيت

سائل يقول: عندنا زيت سقطت به نجاسة فهل يمكن تطهيره؟

الجواب: إذا وقعت نجاسة في زيت (سمن) ونحوه من المائعات الطاهرة فإن كان جامدًا فقد ذهب الفقهاء إلى أنها تلقى وما حولها وينتفع بالباقي لما روت ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سُئل عن فأرة سقطت في سمن فقال: «ألقوها، وما حولها فاطرحوه، وكلوا سمنكم». البخاري. أما إذا كان السمن مائعًا؛ فالجمهور على أنه ينجس لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئل عن الفأرة تموت في السمن، فقال: «إن كان جامدًا فألقوها وما حولها، وإن كان مائعًا فلا تقربوه». [أخرجه أبو داود].

فتـــــاوى

أجاب عنها: فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

النبي ﷺ خليل الله

سئل: ما حكم وصف النبي ﷺ بحبيب الله؟

أجاب: النبي ﷺ حبيب الله لا شك، فهو محبٌ لله ومحبوبٌ لله، ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل الله، فالرسول عليه الصلاة والسلام خليل الله كما قال ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً». ولهذا من وصفه بالمحبة فقط فإنه نزله من مرتبته، فالخُلة أعظم من المحبة وأعلى، فكل المؤمنين أحباء لله، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام في مقام أعلى من ذلك، وهي الخُلة؛ فقد اتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، لذلك نقول: إن محمدًا رسول الله ﷺ خليل الله، وهذا أعلى من قولنا: حبيب الله؛ لأنه متضمن للمحبة وزيادة؛ لأنه غاية المحبة.

حول عذاب القبر

سئل: هل يخفف عذاب القبر عن المؤمن العاصي؟

أجاب: نعم قد يخفف؛ لأن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير؛ أما أحدهما فكان لا يستبرئ»، أو قال: «لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة، وقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا». [البخاري ١٣٧٨، ومسلم ٢٩٢].

وهذا دليل على أنه قد يخفف العذاب، ولكن ما مناسبة هاتين الجريدتين لتخفيف العذاب عن هذين المعذبين؟

١- قيل: لأنهما- أي الجريدتين- تسبحان ما لم ييبسا، والتسبيح يخفف من العذاب عن الميت، وقد فرعوا على هذا العلة المستنبطة- التي قد تكون مستبعدة- أنه يسن للإنسان أن يذهب إلى القبور ويسبح عندها من أجل أن يخفف عن أصحابها.

٢- وقال بعض العلماء: هذا التعليل ضعيف؛ لأن الجريدتين تسبحان سواء كانتا رطبتين أم يابستين؛ لقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقد سُمع تسبيح الحصى بين يدي الرسول ﷺ، مع أن الحصى يابس. إذن ما العلة؟

العلة: أن الرسول ﷺ ترجى من الله عزّ وجلّ أن يخفف عنهما من العذاب ما دامت هاتان الجريدتان رطبتين، يعني أن المدة ليست طويلة، وذلك من أجل التحذير عن فعلهما؛ لأن فعلهما كبير كما جاء في الرواية: «بلى إنه كبير» أحدهما لا يستبرئ من البول، وإذا لم يستبرئ من البول صلى بغير طهارة، والآخر يمشي بالنميمة يفسد بين عباد الله- والعياذ بالله- ويلقي بينهم العداوة والبغضاء، فالأمر كبير، وهذا هو الأقرب أنها شفاعة مؤقتة تحذيرًا للأمة لا بخلاً من الرسول ﷺ بالشفاعة الدائمة.

ونقول استطرادًا: إن بعض العلماء- عفا الله عنهم- قالوا: يسن أن يضع الإنسان جريدة رطبة، أو شجرة، أو نحوها على القبر ليخفف عن صاحبه، لكن هذا الاستنباط بعيد جدًا ولا يجوز أن نضع ذلك لأمور:

أولاً: أننا لم يكشف لنا أن هذا الرجل يعذب؛ بخلاف النبي ﷺ.

ثانيًا: أننا إذا فعلنا ذلك فقد أسأنا إلى الميت؛ لأننا ظننا به ظن سوء أنه يعذب، وما يدرينا فلعله ينعم، لعل هذا الميت ممن منّ الله عليه بالمغفرة قبل موته لوجود سبب من أسباب المغفرة الكثيرة فمات وقد عفا رب العباد عنه،

وحينئذ لا يستحق عذابًا.

ثالثًا: أن هذا الاستنباط مخالف لما كان عليه السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بشريعة الله، فما فعل هذا أحد من الصحابة رضي الله عنهم، فما بالنا نحن نفعله.

رابعًا: أن الله تعالى قد فتح لنا ما هو خير منه، فكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

تأمين الإمام والمأمومين

سُئل: هل التأمين في الصلاة سنة؟

أجاب: نعم، التأمين سنة مؤكدة، لا سيما إذا أمن الإمام؛ لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه».

ويكون تأمين الإمام والمأموم في آن واحد؛ لقول النبي ﷺ: «إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين».

صفة السجود

سُئل: ما حكم الامتداد الزائد أثناء السجود؟

أجاب: الامتداد الزائد أثناء السجود خلاف السنة، فإن الواصفين لصلاته ﷺ لم يقل أحد منهم إنه كان يمد ظهره في السجود، كما قالوا إنه يمد ظهره حال الركوع، وإنما المشروع في حال السجود أن يرفع الإنسان بطنه عن فخذيه ويعلو بذلك، لا أن يمده كما يفعله بعض الناس.

سُئل: هل ورد أن العلامة التي يحدثها السجود في الجبهة من علامات الصالحين؟

أجاب: ليس هذا من علامات الصالحين، وإنما هو النور الذي يكون في الوجه، وانشراح الصدر، وحسن الخلق وما أشبه ذلك، أما الأثر الذي يسببه السجود في الوجه فقد تظهر في وجوه من لا يصلون إلا الفرائض لرقة الجلد، وقد لا تظهر في وجه من يصلي كثيرًا ويطيل السجود.

حكم الأذان والإقامة للمنفرد

سُئل: ما حكم الأذان والإقامة للمنفرد؟

أجاب: الأذان والإقامة للمنفرد سنة، وليسا بواجب؛ لأنه ليس لديه من يناديه بالأذان، ولكن نظرًا لكون الأذان ذكرًا لله عز وجل، وتعظيمًا، ودعوة لنفسه إلى الصلاة وإلى الفلاح، وكذلك الإقامة كانا سنة.

ويدل على استحباب الأذان ما جاء في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يعجب ربك من راعي غنم على رأس الشظية للجبل يؤذن للصلاة، فيقول الله: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم للصلاة؛ يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة».

الأفضل أن يصلوا تحية المسجد

سُئل: بعض الناس إذا دخلوا المسجد قُرب وقت الإقامة وقفوا ينتظرون قدوم الإمام وتركوا تحية المسجد، فما حكم هذا العمل؟

أجاب: إذا كانت المدة قصيرة بحيث لا يفوت فعل تحية المسجد فلا حرج عليهم، وأما إذا كانوا لا يدرون متى يأتي الإمام فالأفضل أن يصلوا تحية المسجد، ثم إن جاء الإمام وأقيمت الصلاة وأنت في الركعة الأولى فاقطعها، وإن كنت في الركعة الثانية فأتمها خفيفة.

حكم صلاة من يصلي خارج المسجد

سُئل: ما حكم صلاة من يصلي خارج المسجد كمن يصلي في الطرقات المتصلة بالمسجد؟

أجاب: إذا كان المسجد لا يسع المصلين وصلوا بالطرقات المتصلة به فلا بأس؛ مادموا يتمكنون من متابعة الإمام؛ لأن هذا ضرورة.

تحقيق الصبر

إعداد / عاطف التاجوري

المعنى اللغوي

قال ابن منظور في لسان العرب في باب صبر: «من أسماء الله تعالى الصبور تعالى وتقدس، وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة ومعناه قريب من معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم».

والصبر نقيض الجزع، قال الجوهري: «الصبر حبس النفس عن الجزع، قال ابن سيده: وأصل الصبر الحبس، وكل من حبس شيئًا فقد صبره.

وفي نضرة النعيم: أما الصبر الجميل في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨]. فالمراد به الصبر: الذي لا جزع فيه ولا شكوى.

وقال ابن تيمية: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه.

ومن معاني الصبر، قال الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز: وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرًا، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتمانًا، وإن كان من فضول العيش سمي زهدًا، وإن كان عن شهوة الفرج سمي عفة، وإن كان عن شهوة الطعام سمي شرف نفس، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حلمًا.

ما أحوج المسلمين - وخاصة في هذا العصر - لهذا الخلق «الصبر» إن كثيرًا من المشكلات في حياة المسلم إنما علاجها في «الصبر»، وإن كثيرًا من الجرائم ترتكب لأن أحد الطرفين لم يتحلَّ بخلق «الصبر».

ولقد وصفه رسول الله ﷺ بأنه ضياء، فقال: «والصبر ضياء»، فهو يضيء لنا الطريق حتى نستطيع أن نفكر ونقدر ونتصرف.

ووصفه أيضًا بأنه أوسع العطاءات فقال: «وما أعطى أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر». فهو الأمر الضروري الذي يعين الطائع على طاعته، والذي يعين على الابتعاد عن المعاصي والمخالفات، وتحمل المصائب.

والصبر ليس عجزًا عن إزالة الضرر عند حدوثه، ولكنه لن يزول بصورة صحيحة إلا عن طريق الصبر، والصبر هو القوة الحقيقية كما قال رسول الله ﷺ «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، متفق عليه.

فمن لا يصبر ليس له إلا الجزع لأنه هكذا قال رسول الله ﷺ، وقد ذم الله تعالى في كتابه من كان على الجزع حيث قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج:١٩-٢٢].

والصبر الجميل يؤدي إلى ترابط المجتمعات بالرغم من حدوث النكبات.

فلنتعرف على هذا الخلق الجميل.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٣-١٥٧].

ويقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

ويقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وقد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا كما قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ونقله عنه ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين.

أما أحاديث الرسول ﷺ فهي كثيرة أيضًا، ومنها:

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، من تبعك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد» : قلت: ما الإسلام؟ قال: «طيب الكلام وإطعام الطعام»، قلت: ما الإيمان؟ قال: «الصبر والسماحة.... الحديث» رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه وأصله عند مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نَفِدَ ما عنده قال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطِي أحد من عطاء خيرًا وأوسع من الصبر» متفق عليه.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» رواه مسلم.

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» رواه مسلم.

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع».

[السلسلة الصحيحة برقم ١٤٦]

الاستعانة بالصبر

كان رسول الله ﷺ يستعين بالصبر والصلاة في كل أحواله؛ ويأمر بذلك ويدعو له؛ فقد جاء إليه أصحابه وهم بمكة يؤذون ويُضطهدون ويعذبون، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ وأن الله تعالى يستجيب دعاءه فكانوا يطلبون منه أن يدعو الله لهم ليرفع عنهم هذا العذاب فما يزيد رسول الله ﷺ على أن يأمرهم بالصبر ويذكر لهم من قصص الذين كانوا من قبلهم وكيف تحملوا العذاب الشديد وصبروا في سبيل دينهم.

فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة - قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون». [رواه البخاري وأبو داود وأحمد]

وكان ﷺ يأمر بالصبر في جميع الحوادث والملمات؛ كما قال في الحديث: «... وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له...».

الاستعانة بالصلاة

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥] قال ابن كثير: قال الإمام أحمد؛ قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة». وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب «الصلاة»: قال حذيفة: رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي وكان إذا حزبه أمر صلى.

وعن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويدعو حتى أصبح.

ثم أخبر تعالى أنه مع الصابرين كما قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، وقال سبحانه في الآية الأخرى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

وهكذا يستمر الصبر مع المؤمن، صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على الابتلاءات حتى يلقى الله تعالى، ولا يتخلى عن الصبر حتى في أحرج المواقف وهو قتال العدو حتى لو قُتل فسيكون قتله في سبيل الله، فإذا قتل

في سبيل الله فهو ليس بميت ولكنه حي كما أخبر الله تعالى، وهذه بشارة للمؤمن الذي يتمسك بالصبر حتى في أحرج المواقف.

الصبر على الابتلاءات

ثم يخبر تعالى أنه لابد أن يبتلي عباده بأنواع الابتلاءات، وقد ذكر هنا الابتلاء بالضراء، ولكن الابتلاء بالسراء مذكور في مواضع أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والواجب مع هذه الابتلاءات كلها الصبر، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ ثم يرشدنا إلى الذكر المطلوب في هذه الحالة؛ قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها». قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرًا منه؛ رسول الله ﷺ. وفي رواية الإمام أحمد أنها سمعت هذا الحديث من زوجها أبي سلمة قبل أن يموت فقالته ثم حدثت نفسها: ومن يكون خيرًا من أبي سلمة. حتى جاءها رسول الله ﷺ.

الأمر بالصبر والمصابرة والمرابطة

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال الحسن البصري: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يَدَعُوهُ لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف، وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات، وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة، قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم، وروى ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؛ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

ثم سورة العصر التي قال فيها الشافعي رحمه الله تعالى: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، وفيها المعاني العظيمة من أن الناس كلهم في هلاك باستثناء صنف واحد وهم الذين آمنوا، ثم اردفوا الإيمان بالعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

تحقيق الصبر

نرجو الله أن نحقق خلق الصبر في أنفسنا حتى يكون ملكة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، ومما يعين على ذلك ما قاله ابن القيم في مدارج السالكين:

«الصبر واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر»

وقال في تحقيق درجات الصبر الثلاثة:

أ- الصبر عن المعصية ويتحقق بما يلي:

أولا: الخوف من الله: أي الخوف من الوعيد المترتب عليها، ويبعث عليه قوة الإيمان بالخبر والتصديق بمضمونه.

ثانيًا: الحياء من الله: أن يستعان على معاصيه بنعمه وأن لا يبارز بالعظائم، ويبعث عليه قوة المعرفة ومشاهدة معاني الأسماء والصفات.

ب- الصبر على الطاعة: وهو أعلى من الصبر عن المعصية ويتحقق بثلاثة أشياء:

أولا: دوام الطاعة.

ثانيًا: الإخلاص فيها.

ثالثًا: الصواب فيها. أي: وقوعها على السنة الصحيحة ومقتضى العلم.

جـ- الصبر على البلاء: ويتحقق بثلاثة أشياء:

أولا: ملاحظة حسن الجزاء الذي أعده الله تعالى للصابرين على البلاء.

ثانيًا: انتظار الفرج الذي لابد أن يأتي، ويعين على ذلك فهم اسمه تعالى اللطيف.

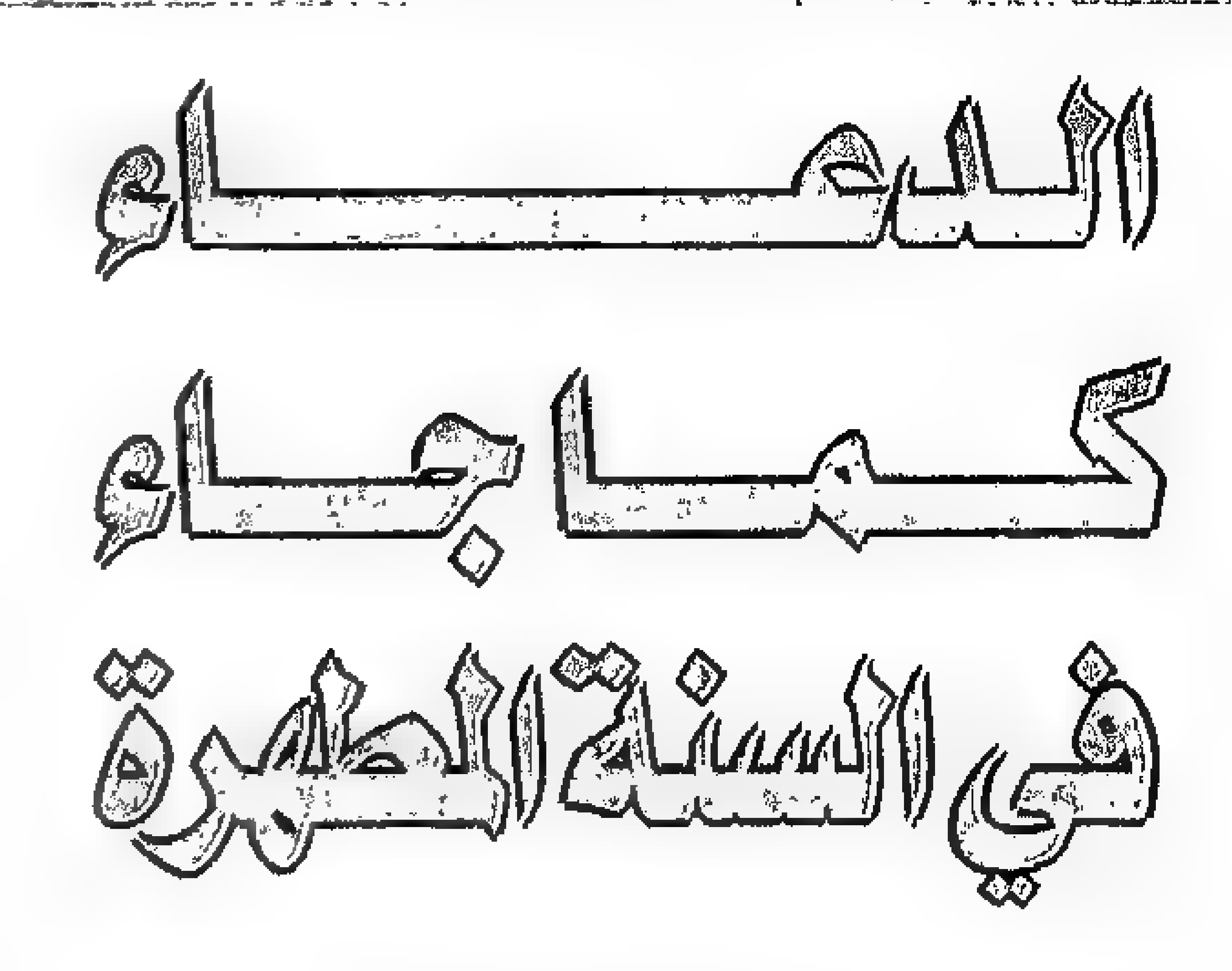
ثالثًا: تهوين البلاء بأمرين:

أولهما: أن يعد نعمة الله عليه، فإذا عجز عن عدها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه بالنسبة إلى نعمه التي لا تحصى كقطرة في بحر.

وثانيهما: ذكر النعم السالفة التي أنعم الله بها عليه.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على تحقيق الصبر في أنفسنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

●● من روائع الماضي ●●



الدعاء كما جاء في السنة المطهرة

بقلم الشيخ/ محمد خليل هراس رحمه الله

إذا كانت آيات الكتاب العزيز قد تضافرت على وجوب إخلاص الدعاء لله سبحانه، والتوجه إليه وحده رغبة ورهبة، فقد جاءت السنة المطهرة بتأكيد ذلك المعنى وتشديد النكير على كل من يجعل لله ندًا، يتوجه إليه في دعائه، ويطلب منه ما لا يقدر عليه غيره، ومن ذلك الحديث المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ، فقال لي: «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، طويت الصحف وجفَّت الأقلام».

وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». ومعنى الند: المساوي الذي يُجعل له من الحق في الدعاء والعبادة مثل ما لله عز وجل.

وقد جاء في حديث آخر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه». [«صحيح الترمذي» (ح٢٦٨٦)].

وعلى الجملة: فالدعاء من أعظم العبادات القولية والقلبية التي يجب إخلاصها لله جل ذكره، وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، بل ومن كل دين بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، ولكن الشياطين تلبس على الناس في هذه العبادة، وتزين لهم أن يتخذوا فيها الوسائط والشفعاء التي تقربهم من الله زلفى وترفع إليهم أدعيتهم وحوائجهم، ومن جملة تلبيسه عليهم في هذا الباب أن يقول لهم: إنكم قد أسرفتم على أنفسكم في ارتكاب الذنوب والمعاصي التي أبعدتكم عن الله عزَّ وجلَّ وجعلت بينكم وبينه حجابًا غليظًا فلا يعقل أن تفتح لكم أبواب السماء، ولا أن يستجاب لكم دعاء حتى تتوسلوا إلى الله فيه ببعض الصالحين من عباده، وبذلك صرفهم عن ابتغاء الوسيلة إلى الله بما شرعه هو وجعله وسيلة مقبولة عنده، لا ابتداع وسائل لم يأذن بها ولم ينزل بها من سلطان، وينكشف ذلك التلبيس بأنه إذا كان اتخاذ الوسائط مانعًا من إجابة الدعاء كان الشرك أولى بذلك، ولهذا أنكر الله على المشركين قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] قولاً من عند أنفسهم بلا حجة ولا دليل.

وأما ما يشغب به القبوريون في هذا الباب من آثار فلا يصح منها شيء، اللهم إلا حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما وقوله: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك الآن بعم نبينا فاسقنا. فيسقون»، على أن الحديث حجة عليهم لا لهم، فإن عمر رضي الله عنه لم يتوسل بذات العباس وشخصه، وإنما توسل بدعائه، فإن التوسل بالذوات لو كان جائزًا لما عدل عمر ومن معه من المهاجرين والأنصار عن التوسل برسول الله ﷺ إلى التوسل بالعباس، لأن ذات رسول الله ﷺ أفضل قطعًا من ذات العباس، وذاته ميِّتًا كذاته حيًا، ولكن عمر أدرك أن ما كان يملكه الرسول ﷺ من الدعاء حال حياته في الاستسقاء وغيره قد بطل بموته، فقدَّم ألصق الناس رحمًا به وهو عمه صنو أبيه لينوب عنه في هذا المقام، وقد

حفظ من دعاء العباس يومئذ قوله: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يرفع إلا بتوبة، وهذه نواصينا إليك بالذنوب، وأيدينا إليك بالتوبة».

ولا أطيل الكلام في هذا الموضوع أكثر من ذلك، فإن الحق فيه أظهر من أن يخفى، ومن أراد الوقوف على جلية الأمر فيه فليرجع إلى ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من علماء السنة الذين بسطوا القول في هذه المسألة، غير أني سأنقل هنا- تتميمًا للفائدة- ملخصًا لما جاء في رسالة «زيارة القبور» لابن تيمية من أحكام تتعلق بذلك الأمر، عسى أن يعتبر بها أولئك الذين يروجون لهذه الضلالة فيفيئوا إلى الحق والهدى ويتركوا سبيل اللجاج والعناد.

قال رحمه الله: «وتفصيل القول: أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى مثل أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم، أو وفاء دينه من غير جهة معينة، أو عافية أهله وما به من بلاء الدنيا والآخرة وانتصاره على عدوه وهداية قلبه وغفران ذنبه أو دخول الجنة أو نجاته من النار أو أن يتعلم العلم والقرآن أو أن يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكي نفسه وأمثال ذلك فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيًا أو ميتًا اغفر ذنبي، ولا انصرني على عدوي، ولا اشف مريضي ولا عافني أو عاف أهلي أو دابتي، وما أشبه ذلك، ومن سأل ذلك مخلوقًا كائنًا من كان فهو مشرك به.

وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح أو يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك ويسأله ويستنجده فهذا على ثلاث درجات:

أحدها: أن يسأله حاجته مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجلّ، فهذا شرك صريح يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل.

وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور؛ لأني أتوسل إلى الله به كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه، فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوت غير الله فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك وأقدر على عطاء سؤلك وأرحم بك فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم، فلم عدلت عن سؤاله إلى غيره؟

وإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته، فهذا هو القسم الثاني وهو أن لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه ولكن تطلب أن يدعو لك فهذا مشروع في الحي، أما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا ولا اسأل لنا ربك.

وأما القسم الثالث وهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك، افعل بي كذا وكذا فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء.

وبعد فهل آن لهذه الأمة أن تتخلص من أوحال تلك الوثنية المدمرة التي تتمثل في تلك الأقوال والأفعال المنكرة التي يرتكبها الناس عند أضرحة المشايخ من الاستغاثة بها، وطلب الحاجات منها، وتقبيل الأرض عندها، ووضع الخد عليها، والتزامها، وغير ذلك مما رجع بنا إلى جاهلية شر من الجاهلية الأولى، إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الهدايا ما يباح منها وما يحرم

إعداد

د. عبد الرحمن بن حسن النفيسة

مفاد المسألة سؤال يقول فيه صاحبه: ما حكم الموظف الذي يقبل الهدايا من معارفه وأقربائه وأصدقائه، وهل يعد قبوله لها من باب الرشوة المحرمة؟

والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: ما يباح من الهدايا.

الوجه الثاني: ما يحرم منها.

المباح من الهدايا

الإهداء في اللغة بمعنى التكريم للمُهدى له، و«أهديت» للرجل كذا بعثت به إليه إكرامًا فهو هدية، و«أهديت» الهدي إلى الحرم سقته، و«تهادى» القوم: أهدى بعضهم إلى بعض. [المصباح المنير ص٦٣١].

والهدية بمعنى الهبة.

أما في الاصطلاح فهي: تمليك المال بلا عوض. [نتائج الأفكار زاده على الهداية ١٩/٩].

والتهادي أو تبادل الهدايا معروف عند سائر الشعوب لكونه يرمز إلى نوع من أنواع الصداقة والمحبة وحسن العلاقة بين المهدي والمهدى له، وهو مستحب في دين الإسلام، والأصل فيه الكتاب والسنة والإجماع.

أمَّا الكتاب فقول الله تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء: ٤].

فقد أمر الله في هذه الآية بإعطاء النساء مهورهن خلافًا لما كان عليه العمل في الجاهلية من حرمان الزوج زوجته صداقها إذا كانت من عشيرته، وإعطائها القليل إذا كانت من غير عشيرته، ثم بيَّن سبحانه وتعالى أن من حق المرأة أن تهب من صداقها ما تشاء لزوجها إذا كان ذلك عن طيب نفس منها، ودون إكراه منه، وللزوج أن يقبل ذلك، والتعبير بالأكل في الآية الكريمة للدلالة على الإباحة.

وكذلك قوله تعالى عن دعاء نبيه زكريا أن يهب الله له ذرية يرثون منه العلم: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم: ٥، ٦]، وكذلك قوله تعالى فيما يهبه لخلقه من الذكور والإناث: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩].

ومن عموم الأدلة قول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٢]. والهبة من أبواب البر، فكل ما أدى إلى المحبة وحسن العلاقة بين المسلم وأخيه يُعَدُّ من أبواب البر.

وأما السنة فقول رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا». [السنن الكبرى (١٦٩/٦)، ومجمع الزوائد (١٤٦/٤)، وكنز العمال (١١٠/٦)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». [صحيح البخاري (١٢٨/٣، ١٢٩)].

وتعد الهدية من باب الإكرام للجار والضيف، وقد قبل رسول الله ﷺ هدية المقوقس ملك مصر، وهو غير مسلم، وقبل هدية النجاشي وتصرف فيها.



وأما الإجماع: فقد انعقد على استحباب التهادي بين الناس وفق الأحكام الشرعية، وقد نحل أبو بكر رضي الله عنه ابنته عائشة جذاذ عشرين وسقًا من ماله في العالية في المدينة. كما نحلها أرضًا من ماله، وقد تهادى الصحابة فيما بينهم، فعلى هذا ليس على التهادي بين الناس من قيود إلا ما كان يقصد منه غمط حق، أو إخلال بعدل، أو مظنة شبهة أو نحو ذلك، وقد تعرض الفقهاء لهذه القيود كما سنرى.

الهدايا المحرمة:

عندما يُقْصَدُ من الهدية المحبة وحسن العلاقة والتآلف بين الناس فلا شك في مشروعيتها، بل استحبابها- كما ذكرنا- ولكن عندما يكون القصد منها غمط الحقوق، أو الإخلال بالعدل، أو الاستعانة بها على معصية فعندئذٍ تكون محرمة بلا خلاف.

والأمر واحد بالنسبة لكل من يلي أمور الناس ويكون مسئولاً عن قضاياهم، فالوالي أيًا كان مسمى ولايته، والموظف أيًا كان مسمى وظيفته يماثلان القاضي فيما يجب عليهما من معاملة الناس بالعدل والسوية، واجتناب ما يسبب الميل والمحاباة أو يسبب الخلل فيما هما موليان عليه أو مسئولان عنه.

فعلى هذا تعد كل هذه الهدايا وما يماثلها محرمة؛ لأنها من باب الغلول، أو من باب الرشوة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «هدايا الأمراء غلول». [السنن الكبرى ١/١٣٨، ومجمع الزوائد ٤/١٥١]. وقال: «لعن الله الراشي والمرتشي». [مسند أحمد ٢/٣٨٧]. وقال في حق الذي ذهب إلى الصدقة ثم جاء يقول: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: «فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر يُهدى له أم لا، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر». ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه وقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» ثلاثًا. [صحيح البخاري ٣/١٣٦].

وينبني على ما سبق أن الموظف- في المسألة- إذا كان يأخذ الهدايا من معارفه وأصدقائه، وأقاربه على سبيل المحبة والعلاقة والرحم، فهذا جائز بشرط ألا يكون لهؤلاء علاقة بما هو مُوَلّى عليه، أمَّا إن كان يأخذها منهم على نحو يؤثر ولو من بعيد في ولايته أو وظيفته، أو يخل بما هو مُوَلّى عليه فهذه الهدايا تعد محرمة؛ لأنها من باب الرشوة والغلول.

والخلاصة: أن تبادل الهدايا مباح في دين الإسلام، والأصل فيه الكتاب والسنة والإجماع، والهدايا على نوعين: الأول مباح. وهو ما يقصد منه تعزيز المحبة، وحسن العلاقة بين الناس الأباعد أو الأقارب، وقد قبل رسول الله ﷺ هدية المقوقس وهو غير مسلم، وقبل هدية النجاشي، وتهادى الصحابة والسلف الصالح فيما بينهم.

أما الهدية المحرمة فهي: ما يقصد منها غمط الحقوق أو الإخلال بالعدل أو الاستعانة بها على معصية، وعلى هذا يحرم على كل من يلي أمور الناس ويكون مسئولاً عن قضاياهم (سواء كان قاضيًا أو واليًا أو موظفًا أو نحوهم) أن يتقاضى منهم هدايا أيًا كان مسماها، فإن فعل ذلك عد مرتشيًا يعاقب دينًا وقضاء ويستثنى من ذلك أخذ الموظف من المعارف والأصدقاء والأقارب على سبيل المحبة وحسن العلاقة والرحم، على شرط ألا يكون لهؤلاء علاقة بما هو مُوَلّى عليه ولو من بعيد. والله أعلم.

قرار إشهار

رقم ١٠٢٦ بتاريخ ١٦/٧/٢٠٠٣م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية بأنه قد تم إشهار جمعية / أنصار السنة المحمدية بالمطرية.

وذلك طبقا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

قرار إشهار

رقم ١٠٠٠ بتاريخ ٢١/٥/٢٠٠٣م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية بأنه قد تم إشهار جمعية / أنصار السنة المحمدية برأس الخليج مركز شربين.

وذلك طبقا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

قرار إشهار

رقم ٨٠٠٦ بتاريخ ٣٠/٦/٢٠٠٣م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالجيزة بأنه قد تم إشهار جمعية / أنصار السنة المحمدية بفيصل.

وذلك طبقا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

كل نفس ذائقة الموت

إن الله خلق الخلق بقدرته، ووقت لكل شيء ميقاتًا وأجلًا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، وليس بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

وتحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية عند الله تعالى رجالاً من رجالها العاملين الذين بذلوا الجهد والمال في سبيل إعلاء شأن الجماعة، ذلك هو الشيخ أحمد المسلمي الحسيني عبد الوهاب أمين صندوق الجماعة.

فقد ولد في يوم ١٩٥٠/٨/٤ ببلدة بيشة قايد محافظة الشرقية، وقد توفي ليلة الثلاثاء الموافق ٢٠٠٣/٨/٥م وذلك عن عمر بلغ ٥٣ عامًا.

وقد أمضى الشيخ أحمد المسلمي غالب عمره في الدعوة إلى منهج أنصار السنة المحمدية ومنذ شبابه المبكر يقوم مع شيوخها لتأسيس فرع الجماعة بالإسماعيلية، وقد لقي من العنت والشدة الشيء الكثير فتحمل تلك المتاعب الجسام حتى صار فرع الإسماعيلية من أكبر فروع الجماعة، وانتهت إليه رحمه الله رئاسة الفرع فلم يبخل بمال ولا جهد في سبيل دعم دعوة التوحيد.

ولا يمكن أن ننسى أنه ترك العمل الوظيفي من قبل في سن مبكرة ليتفرغ لأعمال الجماعة، حيث إنه رأس فترة من الزمن إدارة المشروعات بالمركز العام، فكانت له بصماته وجهوده التي لا تنكر. جعلها الله في ميزان حسناته يوم القيامة.

ولقد كان الشيخ أحمد المسلمي برغم عوارض المرض التي كانت تلازمه فترة من الزمن، إلا أنه كان صاحب عطاء، ولا أنسى أنه كان حبًا لي، فقد كان يتحملني كثيرًا ويسامح في تجاوزي معه بحجة أنني أسن منه، وإنه بفعله هذا يصبح أكبر مني.

وقد زاملته في إحدى رحلات الحج، فما وجدت أحسن منه رفيقًا، يسأل عني كل يوم، ويتعهدني بالداء ويؤثرني بالدواء على نفسه في الركوب وغيره.

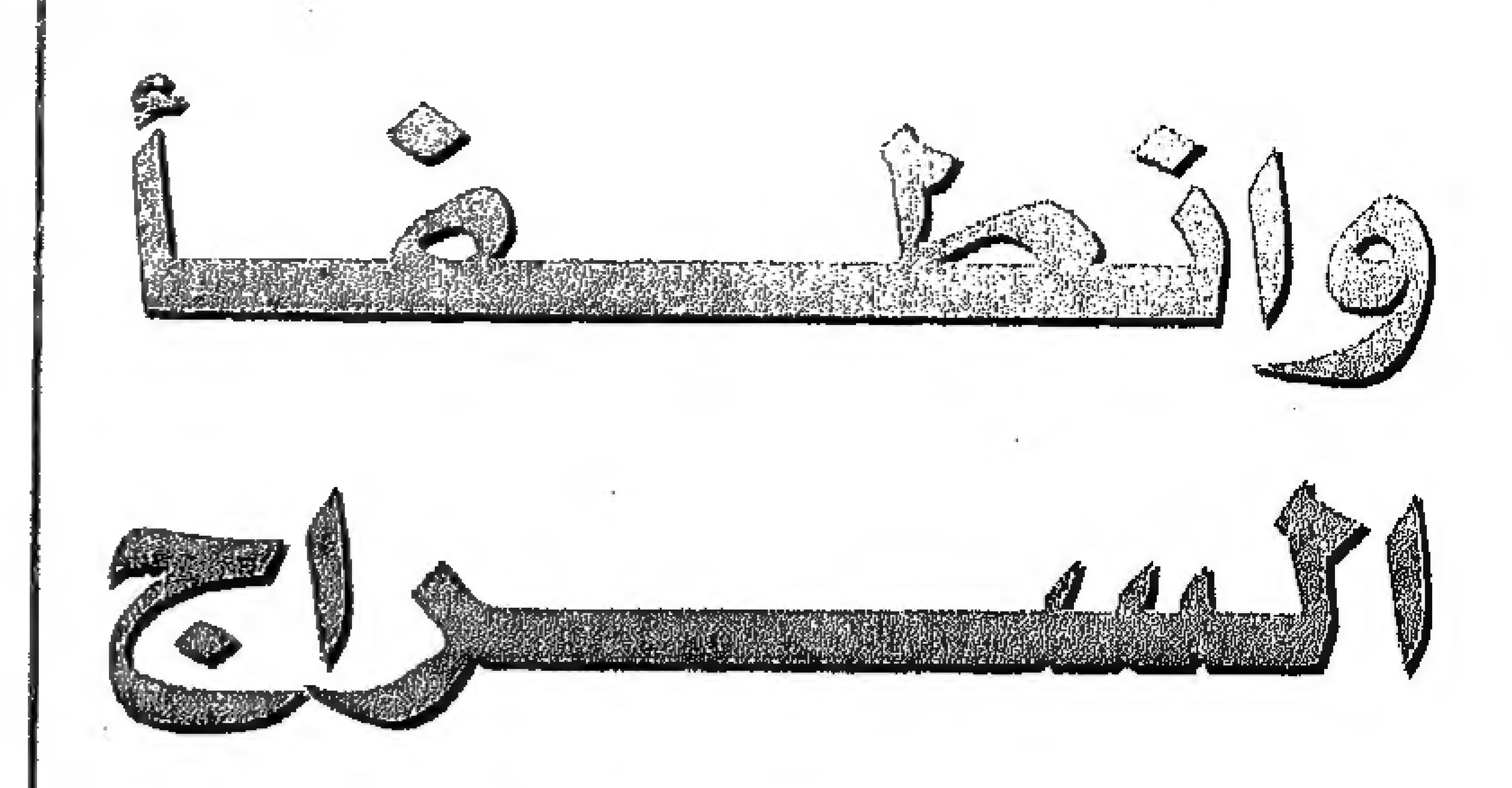
رحم الله الشيخ أحمد المسلمي رحمة واسعة، وأجزل له الثواب وأسكنه الفردوس الأعلى، وأخلفنا خيرًا منه، إنه ولي ذلك والقادر عليه. آمين.

وكتبه أخوه: فتحي عثمان

عزاء أسرة تحرير مجلة التوحيد
في فقيدها الشيخ / أحمد المسلمي .رحمه الله.

من الثوابت التي نؤمن بها ونعتقدها أن الموت حق، والفناء حاصل ولاحق بكل شيء ولا يبقى إلا وجه ربنا ذو الجلال والإكرام، ولأننا نؤمن أيضا أن الخلق يُبعثون بعد الموت للعرض والحساب وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، ولأن الموت مصيبة كما سماه الله عز وجل، فإن قد أصبنا بفقد الشيخ أحمد المسلمي كواحد من العاملين ضمن قادة ودعاة الجماعة، وعزاؤنا أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، فنسأل الله عز وجل أن يغفر له، ويجازيه بالحسنة إحسانا وبالسيئة عفوا وغفرانا.

كما نتقدم بخالص العزاء لأهله وذويه سائلين الله تعالى أن يمن عليهم بالصبر على البلاء والرضا بالقضاء.



كتبه: إبراهيم أبو صالح

الحمد لله ذي الملك والملكوت، والعز والجبروت، كل شيء يفنى ويموت وهو الحي الذي لا يموت.

يقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾، وكان القياس يقتضي أن يقول: «فإنه مدرككم»، لكن بلاغة القرآن وفصاحته أتت بهذه اللفظة: ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾؛ لأن الله تبارك وتعالى أراد أن يصور لنا أن الموت يأتي على غير ميعاد، وكأن الإنسان يسعى لحتفه.

إنه في يوم الثلاثاء الموافق ٩ جماد الآخرة سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣/٨/٥م في الساعة السادسة مساءً فقدت جماعة أنصار السنة بمصر فضيلة الشيخ أحمد المسلمي عضو مجلس الإدارة بالمركز العام ومدير إدارة المشروعات سابقًا.

والله إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

فلقد كان الشيخ رحمه الله ثاقب النظر واسع الصدر حليمًا مألوفًا بين الناس ذا جهد مشكور، بالرغم من مرضه إلا أنه كان يخرج في الصباح الباكر يمر على المشاريع فلا يعود إلا بعد العشاء يجوب البلاد من أجل إضاءة القرى والنجوع ببناء المساجد التي هي من أهم وسائل الدعوة إلى الله.

فكم من مسجد بني على يديه، وكم من دار لتحفيظ القرآن بنيت على يديه، فأضاء بفضل الله وكرمه ومنه عليه الكثير من القرى والنجوع والبلاد بهذه المنارات العالية الخفاقة الرافعة لـ«لا إله إلا الله»، وكم غبر هذا الشيخ من أقدام في وجوه البر والخير، ومع ذلك في مرضه الأخير الذي مات فيه وقبل أن يدخل للعناية المركزة قال لي: لي عندك رجاء، أريد أن أترك رئاسة الفرع وأترك مجلس الإدارة بالمركز العام وأتفرغ للدعوة تمامًا للخطب والدروس؛ لأن العمل الإداري والمشروعات قد أخذت مني كل الوقت وأريد أن أتفرغ للدعوة وألقى الله عز وجل على ذلك.

أرجوك أعطني وعدًا بذلك، فقلت له: يا شيخ أحمد أنت لك أجر الخطيب وأجر المحاضر وأجر المحفظ وأجر الحافظ لكتاب الله وأجر المخرج لإفطار الصائم وأجر المخرج لزكاة الفطر، كل هذه الأعمال في ميزانك إن شاء الله، الدال على الخير كفاعله، قال لي: أسأل الله عز وجل الإخلاص والقبول، وقال لي: أوصيك بدعوة التوحيد والتجرد في العمل. ونحن نسأل الله عز وجل أن يجعل أعمال الخير التي تتم في هذه المساجد التي بناها في ميزانه.

فرحمة الله عليك يا أيها الأخ العزيز والوالد الفاضل الشيخ الكريم، جعلك الله في عليين، وجعل من جنة الفردوس مأوى لك.

أستودعكم الله، استودعكم الله، ثم استودعكم الله. اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد:
فكم هي الزيارات الطيبة والفرص السعيدة في حياة المسلم لكن أكبرها أثراً وأعمقها وقعاً زيارات صروح العلم والدعوة وقلاع التوجيه والإرشاد، ولقد سعدت غاية السعادة وأنا أجد نفسي في مقر جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر محفوفاً بكوكبة من علماء ومسؤولي هذه الجماعة المباركة، والحق أن زيارتي للجماعة كانت تاج برامجي ووسام جدولي أثناء وجودي في هذه البلاد العريقة، وغني عن القول مكانة هذه الجماعة في نفوس أبناء المعتقد الصحيح والمنهج السليم ونصرة السنة في كل مكان، ونشكر الله على جهودها العميمة لأهلها ودعاؤنا الوافر لهم متطلعاً إلى مزيد من الجهود المباركة في هذا المجال لا سيما مع كثرة الصوارف والمتغيرات مؤكداً على الحاجة الماسة إلى مزيد من الاعتصام بالكتاب والسنة والتآلف على هذا المنهج السديد، بارك الله في الجهود وسدد الخطى وجزى القائمين على هذه الجماعة خير الجزاء ونفع بهم البلاد والعباد إنه خير مسؤول وأكرم مأمول وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
الحرم المكي الشريف
[illegible] ١٤٢٤/٦/١٩هـ القاهرة



حامل المسك
للعطور ومستحضرات التجميل
سواك المدينة
طازج و مغلف بطريقة صحية